نصوص ودراسات
سلسلة يصدرها
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

٢١

رحلتان إلى لبنان

تأليف

عبد الغني بن إسماعيل النابلسي
ورمضان بن موسى العطيفي

تحقيق

صلاح الدين المنجد — اسطفان ڤيلد

بيروت ١٩٧٩
يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بڤيسبادن


رحلتان إلى لبنان

نصوص ودراسات

سلسلة يصدرها
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت

٢١

رحلتان إلى لبنان

تأليف

عبد الغني بن إسماعيل النابلسي
ورمضان بن موسى العطيفي

تحقيق

صلاح الدين المنجد   اسطفان ڤيلد

بيروت ١٩٧٩
يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن

المعهد الألماني للأبحاث الشرقية
بيروت، لبنان - ص.ب: ٢٩٨٨
طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت

حُلّة الذهب الإبريز

في

رِحلة بعلبك والبقاع العزيز

تأليف

عبد الغني بن إسماعيل النابلسي

المتوفى سنة ١١٤٣هـ

تحقيق

صلاح الدّين المنجد



تَمْهيــد

كنتُ اقترحتُ على الاستاذ الدكتور شتيبات ، عندما كان مديرًا للمعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ، أن يهتم المعهد بنشر الرحلات التي كتبها الرحّالون المسلمون عن لبنان، في القرون الثلاثة الخالية، لأنها تصف صفحات من تاريخ لبنان ما تزال غير معروفة . وكم كنت سعيدًا عندما رأيت المعهد قد أخذ في تنفيذ الاقتراح، وعهد الى أحد أعضائه الدكتور هربرت بوسّه تحقيق رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الى طرابلس، التي طبعت فيما بعد عام ١٩٧١ .

وعندما تولّى الدكتور اسطفان ڤيلد ادارة المعهد، تابع تنفيذ نشر هذه الرحلات اللبنانية . فاهتمّ هو بتحقيق رحلة العطيفي الى طرابلس، وسألني تحقيق رحلة النابلسي الى بعلبك والبقاع. ولم أتردّد في اجابة طلبه نظرًا لما في هذه الرحلات من توضيح لتاريخ لبنان. وأتممت عملي في عام ١٩٧٣ .

وقد اقترح أن تصدر هاتان الرحلتان معًا في كتاب واحد، لقرب موضوعها .

ولا بدّ أن أزجي هنا جميل الشكر الى الدكتور ڤيلد الذي تابع تنفيذ فكرة نشر الرحلات اللبنانية، والى الدكتور اولريخ هارمن، الذي جهد لاصدار هاتين الرحلتين، بعد أن تأخر صدورهما طويلاً .

بيروت ١٩٧٩

صلاح الدين المنجد



لم تكتب حتى الآن دراسة شاملة واسعة عن حياة النابلسي . وقد حاول الدكتور بوسّه في مقدمته لرحلة النابلسي الى طرابلس أن يترجم له ، لكن دراسته جاءت ناقصة من نواحٍ مختلفة لأنه لم يطّلع على المصادر المخطوطة الأساسية التي يجب الرجوع اليها . وها نحن نقدّم الآن قائمة بهذه المصادر . ثم نتبعها بدراسة جديدة عن النابلسي .

المصادر المخطوطة

إن المصدر الأول لترجمة النابلسي هي مؤلفاته والاجازات التي أعطاها لتلاميذه . لكن هذه المؤلفات عظيمة العدد ، ولم تطبع كلّها . فيمكن الاستفادة مما طبع منها، أو مما هو موجود .

لكن هناك مصدرًا آخر ، لعله أكثر فائدة ، وأسرع متناولًا ، وهو المؤلفات التي كتبها تلاميذ النابلسي عنه . ففي هذه المؤلفات مادّة خصبة ، يمكن الاستفادة منها . وهذه المؤلفات هي مخطوطة لم تطبع بعد . نذكر منها :

١ً – البكري الصدّيقي ، مصطفى كمال الدين (١١٠٢ هـ – ١٦٩١ م) في رسالة اسمها « الفتح الطريّ الجنيّ في بعض مآثر شيخنا الشيخ عبد الغنيّ »[1] .

٢ً – العجلوني ، اسماعيل بن محمد (١١٦٢ هـ – ١٧٤٩ م)

في « ثبته » المسمّى : « حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمّل الرجال »[2] .

---

(١) ذكرها صاحب الورد الأنسي ، ورقة ٣ ب ، ولم يطلع عليها .

(٢) في خزانتنا مخطوطة منه . وانظر بروكلمن ، الذيل الثاني ٤٢٢.

٣ً – الغزّي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (١١٦٧ هـ – ١٧٥٤ م) .
في « ثبته » المسمّى : « لطائف المنّة في فوائد خدمة السنّة » [١] .
٤ً – المنيني ، أحمد بن علي (١١٧٢ هـ – ١٧٥٨ م) .
في « ثبته » المسمّى « القول السديد في اتصال الأسانيد » [٢] .
٥ً – البيتماني ، حسين بن طعمة (١١٧٥ هـ – ١٧٦١ م) .
في رسالة سمّاها « المشرب الهنيّ القدسي في كرامات الشيخ عبد الغني النابلسي » [٣]
٦ً – رسالة اسمها « العقد السنيّ في مزايا الشيخ عبد الغني » [٤] .
٧ً – الغزّي ، محمد كمال الدين (١٢١٤ هـ – ١٧٩٩ م) .
في كتابه المسمّى « الورد الانسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي » [٥] .

وهذا الكتاب هو أوسع ما كتب عن النابلسي. وقد اطلع مؤلفه على بعض ما ذكرناه من المصادر السابقة ونقل منها ، وهو المرجع الوحيد الذي يجب الرجوع اليه . وقد أفدنا منه كثيرًا .

المصادر المطبوعة

والى جانب تلك المصادر ، توجد كتب أخرى تكلّمت على النابلسي أو ترجمت له ، وهي مطبوعة . نذكر منها :

١ً – الخياري ، ابراهيم بن عبد الرحمن (١٠٨٣ هـ – ١٦٧٢ م) .
في رحلته المسمّاة « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » .
الجزء الأول ، ص ١٢٣ – ١٢٦ (تحقيق رجاء السامرائي ، بغداد ١٩٦٩) .

---

(١) منه مخطوطة في مكتبة جامعة برنستن رقم .Yah 2423.
(٢) منه مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٤٥٨ ، وفي التيمورية ٣٨ تيمور .
(٣) منها مخطوطة في جامعة برنستن ، بخط المؤلف كتبت سنة ١١٤٢ هـ. رقمها .Yah 1808.
(٤) ذكرها الغزي في الورد الأنسي ، ولم يذكر مؤلفها .
(٥) منه مخطوطة في جامعة بيروت الأميركية مشتراة من عيسى اسكندر المعلوف ، رقم ٧٥٢ ومخطوطة ثانية بدار الكتب المصرية رقم ٧١٦١ م.

٢ً – المحبي ، محمد الأمين (١١١١ هـ – ١٦٩٩ م) .
في ذيل نفحة الريحانة ، ص ٤٠ – ٤٣ (تحقيق عبد الفتاح الحلو ، القاهرة ، ١٩٧١) .
٣ً – ابن شاشو ، عبد الرحمن (١١٢٨ هـ – ١٧١٦ م) .
في « تراجم بعض أعيان دمشق » ص ٦٧ – ٨٣ .
٤ً – ابن جمعة المقّار ، محمد (بعد سنة ١١٥٦ هـ – ١٧٤٣ م) .
في « الباشات والقُضاة » ص ٦٤ (تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٤٩) .
٥ً – المرادي ، محمد خليل (١٢٠٦ هـ – ١٧٩١ م) .
في « سلك الدرر » ، ٣ / ٣٠ – ٣٨ .
٦ً – الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن (١٢٤١ هـ – ١٨٢٥ م) .
في « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ٢ / ٢٢ (تحقيق حسن محمد جوهر ، القاهرة ١٩٦٠) .
٧ً – الشهابي ، الأمير حيدر بن أحمد (١٢٥١ هـ – ١٨٣٥ م) .
تاريخ الأمير حيدر : « الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان » ، ص ٧٥٧ (ط. مصر ١٩٠٠) .
٨ً – زيدان ، جرجى (١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ م) .
« في تاريخ آداب اللغة العربية » . ٣٤١/٤ (بيروت ١٩٦٧) .
٩ً – النبهاني ، يوسف بن اسماعيل (١٣٥٠ هـ – ١٩٣١ م) .
في « جامع كرامات الأولياء » ٢ / ١٩٤ – ٢٠٠ (تحقيق ابراهيم عطوة عوض . القاهرة ١٩٦٢) .
١٠ً – سركيس ، يوسف اليان (١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م) .
معجم المطبوعات العربية ص ١٨٣٢ (مصر ١٩٢٨) .
١١ً – العظم ، جميل بن مصطفى (١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣ م) .
عقود الجوهر فيمن له في التراجم خمسون مصنفاً فمئة فأكثر ج ١ ص ٤٦ (بيروت ١٣٢٦ هـ) .
١٢ً – الحصني ، محمد أديب تقي الدين (١٣٥٨ هـ – ١٩٤٠ م) .
منتخبات التواريخ لدمشق . ج ٢ ص ٦٢٨ (دمشق ١٩٢٨) .

١٣ً – الكتّاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير .
في « فهرس الفهارس والأثبات .. » ٢ / ١٥٠ – ١٥٢ (فاس ١٣٤٦ – ١٣٤٧) .
١٤ً – طلس ، أسعد .
في « ذيل ثمار المقاصد في ذكر المساجد » لابن عبد الهادي ، ص ٢٣٤ (مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ، بيروت ١٩٤٣) .
١٥ً – الزركلي ، خير الدين . (١٣٩٦ هـ.–١٩٧٦ م) .
في « الأعلام » ٤ / ١٥٨ .
١٦ً – كحالة ، عمر رضا
في « معجم المؤلفين » ٥ / ٢٧١.
١٧ً – المنجد ، صلاح الدين.
في « المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني » ص ٦١ (بيروت ١٩٦٤) .
١٨ً – المنجد ، صلاح الدين.
في « معجم المخطوطات العربية المطبوعة » الجزء الأول ص ١١٤ ؛ الجزء الثالث ص ١٤٥

المصادر الاستشراقية

١ً – بروكلمن ، كارل.
في « تاريخ الأدب العربي » . *GAL*, Suppl. II, 473.
٢ً – كراتشكوفسكي ، اغناطيوس . (١٣٧٠ هـ. – ١٩٥١ م.).
تاريخ الادب الجغرافي العربي . ٢ / ٧٥٧ – ٧٥٩ (ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ١٩٦٥) .
٣ً – بوسّه ، هربرت.
في مقدمة « التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية » (مطبوعات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ، ١٩٧١) .

ترجـمَة جـديدَة للنـابلسيّ

كان النابلسي (عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن أحمد ابن ابراهيم ...) من أعظم الوجوه الصوفية التي شغلت بشخصيّتها وتآليفها العالم الاسلاميّ ، وخاصة بلاد الشام ، في القرن الثاني عشر الهجري (السابع عشر والثامن عشر الميلادي) .

كان اسم اسرته « بنو جماعة » من بيت المقدس . ثم سكن جدّه ابراهيم نابلس، وبقيت ذرّيته بها ، فاشتهروا بالنابلسي ، وانمحى عنهم اسم « بنو جماعة » [1] ويذكر الغزي أن نسبهم يتصل بعمر بن الخطّاب ، مارًّا بشيخ الاسلام موفق الدين عبد الله ابن قدامة المقدسي الحنبلي [2] .

وُلد أبوه اسماعيل بدمشق سنة ١٠١٧ هـ/ ١٦٠٨ م . وكان عالمًا ، فقيهًا متبحرًا غوّاصًا على المعاني الدقيقة. ويصفه المحبي بأنه « أفضل أهل وقته في الفقه، وأعرفهم بطُرُقه . » وكان شاعرًا له شعر عذب ، وقد سافر الى القسطنطينية عدة مرات، والى القاهرة ، وحلب ، والحجاز . وكان مدرّسًا في الجامع الأموي ، والمدرسة القيمرية بدمشق ، والمدرسة السليمية بالصالحية . وأُعطي قضاء صيدا . وتوفي بدمشق سنة ١٠٦٢ / هـ/ ١٦٥٢ م . وصنف كتبًا كثيرة [3] .

أما هو فقد وُلد بدمشق ايضًا ، يوم الأحد رابع ذي الحجة سنة ١٠٥٠ هـ (٧ آذار ١٦٤١) ، وكان أبوه غائبًا في مصر [4] . وقد وُلد في بيت أمّه في سوق القطن بدمشق في زقاق المصبنة ، وكانت هي من أسرة الدويْكي . قال الغزي :

---

(١) الغزي ، الورد الأنسي (مخطوط) ورقة ٢٦ آ .

(٢) المصدر السابق ، ورقة ٢٤ آ .

(٣) المحبي ، خلاصة الأثر ١ / ٤٠٨ ؛ الورد الأنسي ورقة ٢٠ ب – ٢٣ ب .

(٤) الورد الأنسي ، ورقة ٢١ آ .

وهم من ذوي البيوتات المشهورة . وكانت أمه من أهل الدين والصلاح . وكان أبوها الشيخ محمد بن برهان الدين ابراهيم الدويكي – ذا علم وافر ومناقب جمّة . وكانت له أموال كثيرة ، ودنيا غزيرة ، سافر في تجارة الى بلاد الهند ، فمات هناك[١] .

نشأ النابلسي اذن في بيئة صلاح ودين وعلم . فدفعه ابوه الى تعلّم القرآن قبل كل شيء . يقول الغزي : « وختم القرآن وسنّه نحو خمس من السنين ، على عادة الأطفال الموفقين » . وكان أبوه يميّزه عن جميع اخوته في حال صغره ، ويقول : إني أرى فيه بوارق الفضل . [٢] » ثم وجّهه الى طلب العلوم الاسلامية . وعلى صغر سنه كان يحضر دروس أبيه، في أنواع العلوم ، وحضر دروس شيخ الاسلام النجم الغزي ، فأجازه . ولما توفي النجم هذا كان النابلسي في الثانية عشرة من عمره . ولما بلغ عشر سنين حفظ كثيرًا من المقدمات والمنظومات ، في فنون عديدة ، كالألفية في النحو ، والكنز في الفقه ، والشاطبيّة في القراءآت ، والرحبيّة في الفرائض ، والجزريّة في التجويد [٣] .

فلما كان في الثانية عشرة من عمره ، توفي أبوه ، (سنة ١٠٦٢ هـ / ١٦٥٢ م) فنشأ يتيمًا. ونراه يتفجّر الشعر من أعماق قلبه حزنًا على أبيه ، فيرثيه[٤] . ولكن يُتمه لم يمنعه من متابعة شدو العلم والاحاطة به ، حتى صار ، فيما بعد ، عَلَمًا من أعلام عصره ، تأثّر به كثيرون من أبناء العالم الاسلامي .

(١) المصدر السابق ، ورقة ٢٦ ب – ٢٧ آ .
(٢) المصدر السابق ، ورقة ٣١ آ.
(٣) المصدر السابق ، ورقة ٣١ ب .
(٤) المصدر السابق ، ورقة ٣١ ب .

مراحل حياته

نستطيع أن نميّز أربع مراحل في حياته الطويلة :

المرحلة الأولى : طلب العلم

بدأ النابلسي بدراسة العلوم الدينية واللغوية على علماء عصره . فقرأ الفقه والأصول ، والحديث ومصطلحه ، والتفسير . وتعلّم النحو والصرف والمعاني والبيان . وهي العلوم التقليدية التي كان لا بُدّ لطالب العلم من تعلّمها لكي يصبح عالمًا . ويذكر الغزّي « أنه كان متفوّقًا على كل أقرانه في كل منطوق ومفهوم قبل أن يبلغ العشرين » [1] . وجذبته كتب التصوّف فأدمن قراءة كتب القائلين بوحدة الوجود : ابن عربي ، وابن سبعين ، والعفيف التلمساني ، وكذلك قرأ كتب عبد الكريم الجيلي [2] . وسلك في الطريقة النقشبندية . والطريقة القادرية كما سنرى . وكان يكتب عن نفسه فيما بعد « الحنفي مذهبًا ، القادري مشربًا ، النقشبندي طريقة » .

وقد أثّرت فيه كتب التصوّف تأثيرًا بالغًا ، وطبعت حياته بها ، وحدّدت الطريق الذي سار فيه . وقد ذكر الغزي له ١٨ استاذًا هذه اسماؤهم :

شيوخه وأساتذته[3]

١ – والده اسماعيل بن عبد الغني النابلسي .

---

(١) الورد الانسي ، ورقة ٣١ ب .

(٢) المصدر السابق ، ورقة ٣٣ آ : وانظر اسماء شيوخه في مختلف الفنون في : المرادي سلك الدرر ٣ / ٣١ ؛ الورد الانسي ورقة ٤٥ آ – ٥٣ آ

(٣) الورد الأنسي ، الباب الرابع ٤٥ آ – ٥٣ آ .

٢ – نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد الغزي ، صاحب « الكواكب السائرة » (المتوفى سنة ١٠٦١ هـ) .

٣ – علي بن علي ، نور الدين الشبراملسي (إجازةً من مصر) .

٤ – عبد الباقي بن عبد الباقي الحنبلي ، ابن فقيه فصّة (١٠٧١ هـ) .

٥ – محمد بن كمال الدين بن محمد ، ابن حمزة نقيب الأشراف بدمشق (١٠٨٥ هـ) .

٦ – عبد القادر بن مصطفى الصفورى الدمشقي (١٠٨١ هـ) .

٧ – محمد بن تاج الدين المحاسني (١٠٧٢ هـ) .

٨ – أحمد بن محمد القلعي (١٠٦٧ هـ) .

٩ – محمد بن يحيى الفرضي الدمشقي كمال الدين (١٠٨٨ هـ) .

١٠ – محمد بن يحيى الفرضي ، نجم الدين ، اخو السابق (١٠٩٠ هـ) .

١١ – ابراهيم بن منصور الفتّال (١٠٩٨ هـ) .

١٢ – محمد بن أحمد الاسطواني (١٠٧٢ هـ) .

١٣ – المنلا محمود الكردي (١٠٩٤ هـ) .

١٤ – محمد بن محمد العيثاوي الدمشقي (١٠٨٠ هـ) .

١٥ – محمد بن بركات بن مفرّج الكوافي الدمشقي (١٠٧٦ هـ) .

١٦ – ملا حسين بن اسكندر الرومي ، نزيل دمشق

١٧ – ابراهيم بن سليمان الجينيني الدمشقي (١١٠٨ هـ).

١٨ – أحمد بن محمد بن سويدان الدمشقي .

يُضاف الى هؤلاء شيخان أخذ عنهما الطريقة القادرية والنقشبندية سيأتي ذكرهما .

المرحلة الثانية

هذه المرحلة جاءت في فترتيْن مختلفتين ، سبقت المرحلة الثالثة التي سنتكلم عليها وأعقبتها .

فعندما بلغ العشرين من عمره (١٠٧٠ هـ - ١٦٦٠ م) أخذ في إلقاء الدروس في الجامع الأموي ، وفي تصنيف الكتب . وعندما بلغ الخامسة والعشرين (١٠٧٥ هـ - ١٦٦٤ م) نظم بديعيّة في مدح الرسول . ويحدثنا الغزي أن الناس استغربوا صدور هذه القصيدة منه ، لكنهم بُهتوا واعترفوا له بالفضل عندما شرحها وقدّمها لهم في خلال ثلاثة أسابيع [١] .

وفي هذه المرحلة حدثت في حياة النابلسي بعض الأمور لا بُدّ من الإشارة اليها . فقد سافر عام ١٠٧٥ هـ الى القسطنطينية - وسنفصل الكلام على ذلك بعدُ عند ذكر رحلاته - ، ولم تطل إقامته في استانبول ، وعندما عاد الى دمشق ، في نفس السنة ، تولّى محكمة الميدان بدمشق ، فلم تطل مدة ولايته ، بل ترك القضاء وانصرف الى التدريس في الجامع الأموي ، وكان مكان تدريسه في الجهة القبلية تجاه قبر يحيى بن زكريا . فكان يُقرئ في بكرة النهار عدة علوم ، ويقرئ بعد العصر في «كتاب الجامع الصغير» في الحديث ، للسيوطي ، وكتاب « الأربعين النووية » ، و « الأذكار النووية » . وكان يُقرئ ايضًا في الجامع كتب الشيخ محيي الدين ابن عربي ، كالفصوص ، ومواقع النجوم . وبقي منصرفًا الى التدريس حتى سنة تسعين وألف [٢] .

ويجب أن نذكر أنه في هذه المرحلة انتسب الى طريقتين صوفيتين . ففي عام ١٠٧٥ هـ ، عندما سافر الى القسطنطينية ، مرّ بحماة . وهناك اجتمع بالشيخ عبد الرزاق الكيلاني - حفيد عبد القادر الجيلاني - فأخذ عنه الطريقة القادرية . ويحدثنا النابلسي في رحلته الكبرى ، أنه أخذ عن الشيخ العهد والمصافحة والاجازة في مجلس عام . قال : « ونزع الشيخ في الحال عمامته الخضراء الكبيرة عن رأسه ، وأمر نقيبه أن يفتق التاج القادري عنها ، ويخيطه في عمامتنا . ففعل ذلك . » وحين المبايعة أعطى الشيخ عبد الرزاق للاستاذ سيفًا ، وأخبره أنه تلقّاه عن آبائه [٣] ...

وفي سنة ١٠٨٧ هـ قدم دمشق الشيخ ابو سعيد البلخي النقشبندي [٤] ، فاجتمع

---

(١) الورد الأنسي ، ورقة ٣٣ ب .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ، ورقة ٥٦ آ.
(٤) المصدر السابق ، ورقة ٥٣ ب - ٥٤ آ.

النابلسي به ، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية ، وألبسه الخرقة ، وهي قلنسوة بيضاء ، وبايعه على الطريق النقشبندي فوق رأس نبي الله يحيى بجامع بني أمية . وأعطاه من يده العكّاز ، وأعطاه رسالة متعلقة بالطريق وأمره أن يشرحها ، فشرحها شرحًا سمّاه « المعية في شرح الطريقة النقشبندية » [1] وتوفي النقشبندي هذا سنة ١٠٩٢ هـ [2] .

المرحلة الثالثة : العزلة والجذب

العزلة والرياضة والجذب مرحلة لا بدّ لسالك طريق التصوّف من المرور بها ، ليصل الى مقامات أعلى . ويحدّد لنا الغزي أن هذه المرحلة بدأت سنة ١٠٩١ هـ/١٦٨٠ م وقد بلغ الأربعين من عمره . ويحدثنا أن هذه الخلوة قد تمّت في داره بسوق العنبرانيين، المواجهة للباب القبلي من جامع بني أمية ، في القصر المطلّ على ذلك السوق . وقد وصف لنا أحواله فقال : إنه أثناء خلوته كان قليل الطعام، لا ينام الا نادرًا، وقد ترك حلق رأسه ولحيته وأظفاره، وكان يكثر تلاوة كتاب الله » [3] .

ويحدثنا المرادي عن ذلك فيقول : إنه صدر له – اثناء خلوته – أحوال غريبة وأطوار عجيبة ، وصارت تعتريه السوداء ، وقام عليه بعض أهل دمشق واتهموه بترك الصلاة .. » [4] .

قال الغزي : فلما تمت الخلوة ، وقد دامت سبع سنين خرج منها وهو مشوّه الخلقة من شدة طول الشعر والأظفار [5] . وكان في السابعة والأربعين من عمره .

وفي أثناء خلوته ، انتج مؤلّفًا مشهورًا له سمّاه « بواطن القرآن ومواطن الفرقان » نظمًا على قافية التاء . وصل فيه الى سورة براءة بما يزيد على خمسة آلاف بيت [6] .

---

(١) الورد الأنسي ، ورقة ٥٣ ب – ٥٤ آ .

(٢) ذكر الغزي ان وفاته كانت سنة ١٠٩٢ هـ. بالبصرة (ورقة ٥٣ ب) ، ثم ذكر في مكان آخر انه توفي سنة ١٠٩٩ (ورقة ٦٢ آ – ب) .

(٣) الورد الأنسي ، ورقة ٣٣ ب .

(٤) المرادي ، سلك الدرر ٣ / ٠٣٢

(٥) الورد الأنسي ، ورقة ٣٤ آ .

(٦) المصدر السابق ، ورقة ٣٤ آ.

والأحوال الغريبة والأطوار العجيبة التي ذكرها المرادي ما هي إلا ظواهر حالة الجذب التي تعتري السالكين في طريق التصوّف، والتي تزداد عنفًا او رقة حسبما يتلقاه السالك من التجليّات المختلفة.

المرحلة الرابعة : الرحلات والعطاء

خرج النابلسي من عزلته وقد رسخت قدمه في طريق التصوّف، وبلغ مقامات صوفية عالية. وعاد طبيعيًا كما كان. يقول الغزي : فاشتهر أمره، وعلا ذكره، وصار المرجع اليه في حلّ كلام العارفين – أي من أهل التصوّف – فأطلق عنان قلمه في ميدان التأليف »[1].

ويصفه المرادي فيقول : فورد الناس عليه، وصار كهف الحاضرين والوافدين، واستجيز من سائر الأقطار والبلاد[2].

وقد تميّزت هذه المرحلة من حياته، التي دامت حتى وفاته سنة ١١٤٣ هـ/١٧٣٠ م، بالتدريس والتأليف الخصب ، وهذا ما عنينا به « العطاء » ، وكذلك بالرحلات المختلفة .

وسنتكلم اولًا على رحلاته ، ثم على تواليفه .

آ – الرحلات

قام النابلسي بعدّة رحلات أو سياحات . وقد سجل انطباعاته في كتب وصلت الينا .

الرحلة الأولى: الى القسطنطينية سنة ١٠٧٥ هـ/ ١٦٦٤ م .

هذه الرحلة قام بها النابلسي ، كما ذكرنا ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره . وكان اول من ذكرها المرادي فقال : « ارتحل أولًا الى دار الخلافة في سنة خمس وسبعين وألف ، فاستقام بها قليلًا »[3] .

---

(١) الورد الأنسي ، ورقة ٣٤ ب .
(٢) سلك الدرر ، ٣ / ٣٢
(٣) المرادي ، سلك الدرر ٣ / ٣٢

ولقد نقل الذين كتبوا عن النابلسي من المعاصرين خبر هذه الرحلة ، لكنهم أخطأوا جميعًا في معنى « دار الخلافة » . فذهب بروكلمن [١] وتبعه كراتشكوفسكي [٢] ثم هربرت بوسّه [٣] الى أن معنى دار الخلافة هو بغداد .

ويبدو أن خير الدين الزركلي [٤] نقل هذا ايضًا عن بروكلمن فهو لا يذكر مصدره ، ثم نقل كحالة [٥] عن الزركلي . ولم يحقق واحد من هؤلاء معنى دار الخلافة على الصحيح . بل ذهب بعضهم ، كبوسّه ، الى تأويلات غير صحيحة ، وافتراضات وهمية فقال [٦] : « والرحلة الى بغداد أقرب الى الاحتمال منها الى استانبول ، ويظهر أنه زار قبر عبد القادر الجيلاني مؤسس القادرية . (كذا) .

وما ذهب اليه هؤلاء فهم خاطئ لا تؤيده النصوص التاريخية :

١ً – المعروف أن هولاكو قضى على آخر خليفة عباسي سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، عندما هاجم بغداد . ومنذ ذلك الحين لا نجد أحدًا من المؤرخين يسمّي بغداد « دار الخلافة » ، لأن الخلافة انتقلت منها الى القاهرة في عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م ، وصارت مظهرًا دينيًا اسميًا لا عمل لها في شؤون الدولة [٧] .

٢ً – وعندما فتح السلطان سليم العثماني مصر سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م اجتمع بآخر خلفاء بني العباس محمد المتوكل على الله ، الذي يُقال إنه تنازل (أو أجبر على التنازل) عن الخلافة الى السلطان سليم . وسلّمه الآثار النبوية الشريفة المتوارثة بين خلفائهم وهي الراية المحمدية ، والسيف ، والبردة ، وسلّمه ايضًا مفاتيح الحرمين الشريفين . فمن ذلك الحين انتقلت الخلافة من بني العباس الى آل عثمان وصارت « اسلام بول » دار الخلافة [٨] .

---

(١) بروكلمن ، تاريخ الآداب العربية

(٢) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ص ٧٥٧

(٣) مقدمة الرحلة الطرابلسية ص ١٥

(٤) الزركلي ، الأعلام ٤ / ١٥٨

(٥) كحالة ، معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ – ٢٧٢

(٦) مقدمة الرحلة الطرابلسية ص ١٥

(٧) المقريزي ، السلوك ج ١ ق ٢ / ص ٤٧٧ – ٤٧٩

(٨) تقي الدين ، منتخبات التواريخ ص ٢٣٩

٣ً – إن المؤرخين العرب المسلمين في العهد العثماني كانوا يُطلقون على القسطنطينية اسم « دار الخلافة » . فمثلًا نجد المحبي يقول في ترجمة شيخ الاسلام يحيى بن زكريا بن بيرام أنه كان قاضيًا بدمشق « ثم عزل وتوجّه من دمشق الى معرّة النعمان قاصدًا « دار الخلافة » ، وكان قصد أن يمرّ على حلب ... » [١] .

ونراه يذكر في ترجمة يوسف بن أبي الفتح بن منصور السقيفي الدمشقي أنه صار إمام السلطان عثمان في القسطنطينية ، قال : ذكره الشهاب الخفاجي في « الخبايا » فقال في حقه : فاضل كامل ، قدّمه الزمانُ على غيره من الأفاضل لمّا صار مُقْتَدَى دار الخلافة .. » ، أي عندما صار إمامًا للسلطان عثمان في القسطنطينية [٢] .

وقد ظلّ هذا الاستعمال دارجًا حتى أواخر العهد العثماني . فنحن نجد مثلًا الشيخ علي فهمي الموستارلي ، مفتي الهرسك ، واستاذ الأدب العربي في دار الفتوى باستانبول يقولُ عن نفسه في مقدّمة كتابه « حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة » : « أما بعد ، فيقول العبد المفتقر الى الله الغني الباري عليّ بن شاكر الموستاري ، نزيل دار الخلافة العليّة ، القسطنطينية المحميّة .. » . وقد طُبع هذا الكتاب باستانبول سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٧ .

٤ً – لقد كانت الرحلة الى بلاد الروم و « دار الخلافة » ، مألوفة عند العلماء من بلاد الشام والحجاز ، للاجتماع بعلماء الروم والأخذ عنهم ، أو للحصول على الوظائف الدينية الهامة . وقد سافر اليها مئات من العلماء ، سجل بعضهم انطباعاته في كتب ألفوها [٣] . وقد رأينا أن أبا عبد الغني سافر الى القسطنطينية ، فليس غريبًا أن يرحل اليها عبد الغني .

٥ً – وأخيرًا فان الغزي يعلن بصراحة ذهابه الى القسطنطينية فيقول : « وفي السنة المزبورة ، وهي سنة خمس وسبعين بعد الألف الموفورة ، ذهب الى جهة بلاد الروم ، ووصل الى مدينة أدرنه ... ثم عاد منها الى قسطنطينية ، المحفوظة

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ٤ / ٤٦٨

(٢) المصدر السابق ٤ / ٤٩٣

(٣) انظر هذه الرحلات عند كراتشكوفسكي في تاريخ الأدب الجغرافي العربي

من كل سوء وبلية . واجتمع بمن بها من الأعلام اذ ذاك كشيخ الاسلام ، وقضاة العسكر ، وغيرهم . وكانت مدة إقامته خمسةً وعشرين يومًا .. وعاد الى دمشق في هذه السنة وهي سنة خمس وسبعين ايضًا ، وكان مقدار سفره ذلك أربعة أشهر . » [١] .

لذلك كلّه نرى أنّ من الخطأ تفسير « دار الخلافة » على أنها بغداد . والمعنى الصحيح والوحيد لها ، في أيام النابلسي هو : القسطنطينية .

ويبدو أن الشيخ عبد الغني لم يؤلّف كتابًا خاصًا عن رحلته هذه ، وليس لدينا عنها الا ما ذكره الغزّي فقال :

« وفي هذه السنة المزبورة ، وهي سنة خمس وسبعين بعد الألف الموفورة ،
« ذهب الى جهة بلاد الروم ، لأمرٍ له يروم . ووصل الى مدينة ادرنة التي كانت
« سابقًا دارًا للسلطنة ، ثم عاد منها الى قسطنطينية المحفوظة من كلّ سوءٍ وبليّة .
« واجتمع بمن بها من الأعلام اذ ذاك ، كشيخ الاسلام ، وقضاة العسكر ،
« وغيرهم . وكانت مدة إقامته بها خمسًا وعشرين يومًا . وكان سببُ ذلك أنه رأى رجلًا من أهل الجذْب والأحوال قال له مُصرّحًا وأفصح المقال : ليس لك هنـا
« استقامة ، فعليك بجهة قبلة ، ولا تقيم هنا . قال رضي الله عنه : فتوجهتُ على
« الفوْر ، وعلمتُ أنه أمرٌ إلهي كان ذلك الطور . وعاد الى دمشق في هذه السنة،
« وهي سنة خمس وسبعين ايضًا ، وكان مقدار سفره ذلك أربعة أشهر . » [٢] .

الرحلة الثانية سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م .

ذهب فيها الى البقاع العزيز وجبل لبنان . وهو في الخمسين من عمره . وجمع أخبار هذه الرحلة في كتاب سمّاه « حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز » . وهي هذه الرحلة التي ننشرها .

الرحلة الثالثة سنة ١١٠١ هـ / ١٦٨٩ م .

ذهب فيها الى زيارة بيت المقدس وبلدة ابراهيم الخليل . ووصف رحلته في كتاب سمّاه « الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية »

---

(١) الورد الأنسي ، ورقة ٣٣ آ .

(٢) المصدر السابق ، ورقة ٣٣ آ .

الرحلة الرابعة سنة ١١٠٥ هـ/١٦٩٣ م.

ذهب فيها الى بعض مدن الشام ومصر والحجاز . وهي رحلته الكبرى التي حجّ فيها . وقد وصف أخبارها في كتاب سمّاه « الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز » .

الرحلة الخامسة سنة ١١١٢ هـ/ ١٧٠٠ م .

ذهب فيها الى طرابلس الشام ، وهو في الثانية والستين من عمره . ووصف أخبارها في كتاب سمّاه « التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية » .

وبعد عودته من هذه الرحلة ، سنة ١١١٢ هـ ، لم يترك دمشق ، حتى مات فيها سنة ١١٤٣ هـ.

وفي هذه المرحلة الأخيرة من حياته لم يحدث شيء مهم ، سوى أنه ولي تدريس المدرسة السليمية في صالحية دمشق سنة ١٠١٥ [١] هـ ، وكان ولي إفتاء السادة الحنفية سنة ١٠١٣ هـ. [٢] ، وانتقل سنة ١٠١٩ هـ من بيت اسلافه قرب الجامع الأموي الى الصالحية ، فسكن فيها حتى موته .

ويحدثنا الغزي عن سبب انتقاله فيقول : كان الاستاذ في أول أمره ساكنًا داخل دمشق بدار بني النابلسي المشهورة بهم ، الكائنة بسوق العنبرانيين قبلي الجامع الشريف الأموي . ثم لما صدرت الفتنة بدمشق بين جند القول وطائفة الأشراف العلوية سنة ١١١٩ [٣] ، وبغى القول على السادة الأشراف حتى ذبحوا منهم رجلًا تجاه دار الاستاذ ، دعا عليهم بسبب ذلك . وخمّس بيتي الاستاذ الأكبر محيي الدين ابن العربي فقال :

تجمّع القول للإضرار واختبطوا   ما بينهم ، وبساطُ السوءِ قد بَسَطوا
فجاءهم قولُ مُحيي الدين ينضبطُ   يا سطوةَ الله حُلّي عقْدَ ما ربطوا
وشتّتي شَمْلَ أقوامٍ بنا اختلطوا

(١) الورد الأنسي ورقة ٤٢ آ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٤٢ ب .

(٣) أشار ابن جمعة في كتابه « الباشات والقضاة » الى هذه الحادثة فقال : « وفيها تعصبت جماعة من القبوقول وأشهروا السلاح على أبناء دمشق ، وقتلوا نحو عشرة أنفار . وسكّرت دمشق ثلاثة أيام ، وأخذوا منهم دية المقتولين . » . انظر : المنجد ، ولاة دمشق في العهد العثماني ، ص ٥٢

إبليسُ لِلشرِّ داعيهم وجـامعُهم ... وما لهم عن هواهم مَنْ يُمـانعهم
ناديتُ لمّا بدا للعكس طـالعهم ... الله أكبر ! وسيفُ الله قاطعُهم
وكلّما قد عَلَوْا في ظلمهم هبطـوا

قال : وحصل للاستاذ بسبب ذلك انزعاج عظيم ، وهجا أهل الشام بقصيدته الشهيرة التي مطلعها :

أتعبتْنـي بقـرُ الشامِ ... وهي في نَقْضٍ وإبرامِ

فخرج الاستاذ بعياله من دمشق ، وابتنى دارًا من دكّ التُراب ، بسفح قاسيون عند تربة المولّهين ، ومزار الشيخ يوسف القميني [1] ، وسكن هناك مدة تباعدًا عن الناس. ثم في أوائل سنة تسع عشرة ومابة وألف أحكره المولى أسعد افندي البكري الصديقي قطعة من بستانه المسمّى « بالعجميّة » شرقي المدرسة العمرية [2] الى جهة القبلة ، تحت نهر يزيد . فابتناها الاستاذ دارًا وسكنها ، ودُفن بها آخرًا . » [3] .

ويحدثنا الغزي أنه بُني له في داره قصر – يعني غرفة باصطلاح الدمشقيين – جميعهُ من الخشب ، مشتمل على شبابيك وكُتْبيّة ، وتحته ايوان مرتفع على الأرض . وله غرابات من الحديد تشدّه اذا ركّب بعضه الى بعض . فيُفكّ وينقل من مكان الى مكان من البساتين وغيرها . وكان اصطناعه له في سنة تسع وثلاثين ومائة وألف . قال : وجعل له الاستاذ تاريخًا من نظمه فقال :

قد قيل لي إنّ القصور جميعهـا ... مبنيّـةٌ لحجـارةٍ تُستثقلُ
أيكون قصرًا في البيوت وتـارة ... تلقـاه يحوي ذاك روض مُبْقِلُ
والكلُّ من خشب يشدّ حديـدُه ... اجزاءه فهو المخفُّ المُثْقِـل
فأجبت لا عجبٌ وفي التاريخ ها ... قصرٌ يفكُّ كما يشاء وينقـل

وذكر أن بعض محبّي الشيخ اتخذ عشرة بغال تحمل القصر اذا اراد الاستاذ السير الى مكان من متنزهات دمشق [4] . وأنه رؤي القصر منصوبًا مرة على حافة نهر

---

(١) انظر موقعه في مخطط الصالحية لدهمان ، رقم ٩
(٢) انظر القلائد الجوهرية لابن طولون ١ / ١٦٥
(٣) الورد الأنسي ، ورقة ٤٣ آ.
(٤) الورد الأنسي ، ورقة ٤٠ ب – ٤١ آ.

بردى عندما قام الشيخ بِسَيْران مع أصحابه في بستان كيوان بوادي الشقرا[١]. ثم جُدّد هذا القصر المتنقل في سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف ، وزيد فوقه مشرقة لطيفة ، وكله من الدفوف المدهونة [٢] . وقال الشيخ في هذا القصر أشعار كثيرة .

التدريس والتأليف

درّس النابلسي في الجامع الأموي ، وفي المدرسة السلمية في صالحية دمشق في فنون مختلفة من العلم : الفقه والتفسير والحديث والتصوّف وغير ذلك .

وقد أوتي عددًا كبيرًا من التلاميذ حتى قال الغزي في الباب السادس من الورد الأنسي : « اعلم أنه لا يمكن حصر تلامذة الاستاذ رضي الله عنه بوجه ، لأنه لا يخفى ما أعطاه الله تعالى من الاشتهار في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو قُدّس سرّه ، ارتحل من دمشق وساح ودخل البلاد وخالط العباد » ثم قال: وإنما اذكر في هذا الباب ما وصل اليه علمي من ذلك[٣]. »

والذين ذكرهم من تلاميذه :

١ – محمد بن ابراهيم بن محمد الدكدكجي ، أخصّ تلامذة الاستاذ (–١١٣١ ه).
٢ – محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (– ١١٨٨ ه) .
٣ – محمد بن أحمد بن محمد ابن قولقسيز الحلبي (–١١٦٤ ه) .
٤ – محمد بن أحمد بن محمود ابن جانبك الكنجي (–١١٥٣ ه) .
٥ – محمد بن رحمة الله بن عبد المحسن الأيوبي (– ١١٥٠ ه) .
٦ – محمد بن عمر بن علي الكفيري (– ١١٣٠ ه) .
٧ – محمد بن عبد الجليل بن ابي المواهب الحنبلي (–١١٤٨ ه) .
٨ – محمد بن عبد الحي الداودي (–١١٦٨ ه) .
٩ – محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين الغزي (–١١٦٧ ه) .
شمس الدين ، وهو صهر الشيخ النابلسي . ومؤلّف لطائف المنّة .
١٠ – محمد بن عبد الرحمن التاجي (– ١١١٤ ه) .

---

(١) المصدر السابق ٤١ آ.
(٢) المصدر السابق ٤٢ آ.
(٣) الورد الأنسي ٥٣ آ – ١٣١ ب .

١١ – محمد بن عبد الكريم المالكي الفاسي (–١١٨٥ ﻫ) .
١٢ – محمد بن عبد الله بن أحمد الطرابلسي الدمشقي (–١١٧٧ ﻫ) .
١٣ – محمد بن عبد الله بن محمد ، ابو شعر وشعير (–١٢٠٧ ﻫ) .
١٤ – محمد بن عثمان بن محمد ابن الشمعة (–١١٨٧ ﻫ) .
١٥ – محمد بن علي بن حسين الكبيسي (–١١٦٩ ﻫ) .
١٦ – محمد بن علي بن حسين العدوي العطار (–١١٤٠ ﻫ) .
١٧ – محمد بن عيسى بن كنّان – بتشديد النون – (–١١٥٣ ﻫ) .
١٨ – محمد بن محمود بن ابراهيم الحبّال (–١١٤٥ ﻫ) .
١٩ – محمد بن مراد بن علي المرادي (–١١٦٩ ﻫ) .
٢٠ – محمد بن مصطفى الحلبي ، مفتي حلب
٢١ – محمد الأمين بن محمد ابن الخراط (–١١٥٦ ﻫ) .
٢٢ – محمد الأمين بن فضل الله المحبي ، صاحب « خلاصة الأثر » (–١١١١ ﻫ) .
٢٣ – محمد بن محمد بن علي العطّار (–١١٧٦ ﻫ) .
٢٤ – محمد سعيد الدين بن أحمد المحاسني (– ١١٦٩ ﻫ).
٢٥ – محمد سعيد الدين بن أحمد اللقيمي (–١١٦٨ ﻫ) .
٢٦ – محمد عزيز القسطنطيني .
٢٧ – محمد شمس الدين المخلّصي .
٢٨ – محمد بن محمد الأكرمي ، همام الدين .
٢٩ – ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الدكدكجي (–١١٣٢ ﻫ) .
٣٠ – ابراهيم بن عباس الشهير بالحافظ (–١١٨٦ ﻫ) .
٣١ – ابراهيم بن عباس الدمشقي المنشد (–١٢٠٤ ﻫ).
٣٢ – ابن الحكيم ، محمد بن عبد الرحمن (–١١٩٢ ﻫ) .
٣٣ – ابراهيم بن عبد الكريم الكريمي ، ابن الغارة (–١١٣٨ ﻫ) .
٣٤ – ابراهيم بن مراد الراعي (–١١٣٨ ﻫ) .
٣٥ – ابراهيم بن مصطفى الحلبي (–١١٩٠ ﻫ) .
٣٦ – ابو بكر بن عبد القادر القواف (–١١٧٠ ﻫ) .
٣٧ – أحمد بن محمد أمين الزهيري (–١١٥٣ ﻫ) .

٣٨ – أحمد بن محمد بن طه الصالحي (– ١١٨٠ هـ) .
٣٩ – أحمد بن محمد بن علي السابق (– ١١٦١ هـ) .
٤٠ – أحمد بن محمد بن صبح الباقاني (– ١١٩٥ هـ) .
٤١ – أحمد بن محمد الأغريبوزي (– ١١٢٦ هـ) .
٤٢ – أحمد بن سليمان بن اسماعيل المحاسني (– ١١٤٦ هـ) .
٤٣ – أحمد بن عبدالله البعلي (– ١١٨٩ هـ) .
٤٤ – أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (– ١١٩٢ هـ) .
٤٥ – أحمد بن عبد الفتاح الملوي المصري (– ١١٨١ هـ) .
٤٦ – أحمد بن عز الدين البيروتي
٤٧ – أحمد بن علي بن عمر المنيني (– ١١٧٢ هـ) .
٤٨ – أحمد بن مصطفى ابن حيمور (– ١٢٠٥ هـ) .
٤٩ – أسعد بن محمد بن علي ابن الطويلة (– ١١٤٩ هـ) .
٥٠ – أسعد بن محمد بن عبد الكريم العبادي (– ١١٢٥ هـ) .
٥١ – أسعد بن أحمد البكري (– ١١٢٨ هـ) .
٥٢ – أسعد بن عبد الرحمن المجلّد (– ١١٨٠ هـ) .
٥٣ – أسعد بن عابدين ابن كوله (– ١١٩٤ هـ) .
٥٤ – اسماعيل بن محمد العجلوني (– ١١٦٢ هـ) .
٥٥ – اسماعيل بن عبدالله الرومي (– ١١٦٠ هـ) .
٥٦ – الياس بن ابراهيم الكوراني (– ١١٣٨ هـ) .
٥٧ – حامد بن علي ابن العمادي (– ١١٧١ هـ) .
٥٨ – حسن بن علي العجيمي (– ١١١٣ هـ) .
٥٩ – حسن بن محمد الطبّاخ (– ١١٩٤ هـ) .
٦٠ – حسن بن مصطفى الرومي (– ١١٨٩ هـ) .
٦١ – حسن بن مصطفى البغدادي الدمشقي (– ١١٨٢ هـ) .
٦٢ – حسن بن موسى نور الدين الكردي (– ١١٤٧ هـ) .
٦٣ – حسن بن يسن الرملي ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي (– ١١٩٢ هـ) .
٦٤ – حسن الضرير الأعمى المنشد (١١٤٦ هـ) .

٦٥ – حسين بن طعمة البيتماني (– ١١٧٥ هـ) .
٦٦ – حسين بن عبد الله الحنفي الرومي (– ١١٧٠ هـ) .
٦٧ – خليل بن أسعد البكري (– ١١٧٤ هـ) .
٦٨ – خليل بن عبد الحيّ البهنسي .
٦٩ – خليل بن رضيّ الدين الغزي (– ١١٤٤ هـ) .
٧٠ – خليل بن محمد الفتال (– ١١٨٦ هـ) .
٧١ – خليل بن مصطفى الدمشقي ، الشهير بالبغدادي (– ١١٧٨ هـ) .
٧٢ – رجب الحريري الشاعر
٧٣ – رجب الأشقر (– ١١٥٠ هـ) .
٧٤ – رحمة الله بن عبد المحسن الأيوبي (– ١١٥٠ هـ) .
٧٥ – رضوان بن يوسف الصبّاغ المصري .
٧٦ – زين العابدين الحنفي القسطنطيني.
٧٧ – سعدي بن عبد الرحمن ابن حمزة (– ١١٣٢ هـ) .
٧٨ – سعدي بن عبد القادر العمري (– ١١٤٧ هـ) .
٧٩ – سعودي بن يحيي الشهير بالمتنبي (– ١١٢٧ هـ) .
٨٠ – سعيد بن علي الكِناني (– ١١٥٦ هـ) .
٨١ – سعيد بن محمد ابن السمّان ، الاديب الشاعر (– ١١٧٢ هـ) .
٨٢ – سعيد بن مصطفى بن اسماعيل النابلسي (– ١١٧٣ هـ) .
٨٣ – شاكر بن عمر الحموي الشهير بالحكواتي (– ١١٩٣ هـ) .
٨٤ – صادق بن محمد ، ابن الخرّاط (– ١١٤٣ هـ) .
٨٥ – صالح بن ابراهيم الجينيني (– ١١٧٠ هـ) .
٨٦ – طه الحلبي المشهور بابن طه الصوفي (– ١١٣٧ هـ) .
٨٧ – عباس بن محمد الكبردي الصوفي (– ١١٦٣ هـ) .
٨٨ – عبد الحيّ بن علي الطالوي الشهير بالخال (– ١١١٧ هـ) .
٨٩ – عبد الرحمن بن ابراهيم ، الشهير بابن عبد الرزاق (– ١١٣٨ هـ) .
٩٠ – عبد الرحمن بن تاج الدين التاجي .
٩١ – عبد الرحمن بن حسن الكردي الزرديني الصوفي (– ١١٩٥ هـ) .

٩٢ – عبد الرحمن بن عبد الله البعلي .

٩٣ – عبد الرحمن بن عمر ابن السفرجلاني (– ١١٥٠ هـ) .

٩٤ – عبد الرحمن بن محمد الشهير بالذهبي وبابن شاشة ، الأديب الشاعر (– ١١٢٨ هـ) .

٩٥ – عبد الرحمن بن محمد الكزبري (– ١١٨٥ هـ) .

٩٦ – عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن الغزي ، حفيد الشيخ . (– ١١٤٤ هـ) .

٩٧ – عبد الرحمن بن محمد العمري (– ١١٤٠ هـ) .

٩٨ – عبد السلام بن مصطفى القسطنطيني المشهور بالبشمقجي .

٩٩ – عبد القادر بن مصطفى ، بهاء الدين ، خادم الشيخ (– ١١٧٠ هـ) .

١٠٠ – عبد القادر بن يوسف المدني (– ١١٧٠ هـ) .

١٠١ – عبد الكريم بن أحمد الشراباتي (– ١١٧٦ هـ) .

١٠٢ – عبد الكريم بن محيي الدين الجراعي (– ١١٦١ هـ) .

١٠٣ – عبد اللطيف بن محمد العمري (– ١١٦٤ هـ) .

١٠٤ – عبدالله بن محمد زين الدين بن أحمد البصروي المؤرخ (– ١١٧٠ هـ) .

١٠٥ – عبدالله النحاس .

١٠٦ – عبد الهادي بن علي البقاعي ، من قرية جب جنين (– ١١٦٣ هـ) .

١٠٧ – عبد الوهاب بن مصطفى القسطنطيني (– ١١٨٨ هـ) .

١٠٨ – عثمان بن محمد ابن الشمعة (– ١١٢٦ هـ) .

١٠٩ – علي بن أحمد الكزبري (– ١١٦٥ هـ) .

١١٠ – علي بن حسن الدفتري (– ١١٥٢ هـ) .

١١١ – علي بن عبد الحيّ ابن الغزي (– ١١٩١ هـ) .

١١٢ – علي بن مصطفى الميقاتي الدباغ (– ١١٧٤ هـ) .

١١٣ – علي بن محمد السليمي (– ١٢٠٠ هـ) .

١١٤ – علي بن عبد الله الحلبي ، بوّاب الشيخ (– ١١٥٥ هـ) .

١١٥ – علي الحنفي ، خطيب جامع سنان باشا (– ١١٥٤ هـ) .

١١٦ – علي بن عبد الله الخزرجي البعلي .

١١٧ – علي النحلاوي الطيّان (– ١١٥٠ هـ) .
١١٨ – علي المسالخي (– ١١٥٤ هـ) .
١١٩ – عمر القضماني (– ١١٥٤ هـ) .
١٢٠ – عمر بن علي السكّري (– ١١٢٩ هـ) .
١٢١ – عمر العطّار ، تابع الشيخ (– ١١٥٥ هـ) .
١٢٢ – فتح الله بن عبد الواحد الداديخي (– ١١٣٩ هـ) .
١٢٣ – لطفي بن علي الصيداوي .
١٢٤ – مرتضى ، السيد الشريف الموسوي .
١٢٥ – مرتضى بن مصطفى الكردي .
١٢٦ – مصطفى بن إبراهيم العلواني (– ١١٩٣ هـ) .
١٢٧ – مصطفى بن أحمد الشهير بالترزي الشاعه (١١٦٠ هـ) .
١٢٨ – مصطفى بن أحمد... ابن الغزي (– ١١٥٥ هـ) .
١٢٩ – مصطفى بن حسن الصمادي (– ١١٣٨ هـ) .
١٣٠ – مصطفى بن عبد القادر العمري (– ١١٤٣ هـ) .
١٣١ – مصطفى بن عبدالله العبدلاني الكردي (– ١٢٠٢ هـ) .
١٣٢ – مصطفى بن علي الحموي (– ١١٩٣ هـ) .
١٣٣ – مصطفى بن قرقماز البقاعي الحيموري (– ١١٥١ هـ) .
١٣٤ – مصطفى بن كمال الدين .. البكري الصدّيقي (– ١١٠٢ هـ) .
١٣٥ – مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأيوبي (– ١٢٠٥ هـ) .
١٣٦ – مصطفى بن محمد البتروني (– ١١٦٢ هـ) .
١٣٧ – مصطفى بن محمد الكفيري (– ١١٥٣ هـ) .
١٣٨ – موسى بن اسعد .. المحاسني (– ١١٧٣ هـ) .
١٣٩ – هداية الله الأسدي الحلبي .
١٤٠ – يحيى بن عبد الرحمن البعلي (– ١١٥٨ هـ) .
١٤١ – يحيى بن مصطفى بن اسماعيل النابلسي (– ١١٥٥ هـ) .
١٤٢ – يوسف بن محمد المالكي (– ١١٧٣ هـ) .
١٤٣ – يوسف الدمشقي الشهير بابن الرز الشاعر .

التآليف

أما التأليف فقد كان النابلسي خصبًا فيه . فقد انتج عددًا كبيرًا من المؤلفات ، في فنون مختلفة ، منها الرسائل الصغار ومنها المجلدات الكبار . ويذكر الكمال الغزي أن عدد مؤلفاته بلغ «ثلاثمائة مؤلَّف ، بل أكثر من ذلك . قال : وهي ما بين المجلد والمجلدين، والثلاثة، والكرّاسة، والأقلّ والأكثر» . ويضيف : «عمّ بها الانتفاع، ومالت اليها الألباب والطباع، في سائر البلاد والبقاع»[1].

أما الشمس الغزي صاحب «لطائف المنّة» فيقول : «ومصنفاته تزيد على المائتين، ما بين المجلد والمجلدين والثلاثة»[2]، وذكر منها حوالي الخمسين.

وعلى هذا فان النابلسي يعتبر من كبار المؤلفين في الاسلام، كابن طولون، والسيوطي، وابن حجر، وابن عربي وغيرهم.

ويجب أن نذكر أن للنابلسي عددًا كبيرًا من الرسائل كان يكتبها جوابًا عن اسئلة تلاميذه وعارفيه من جميع البلدان، في مختلف الموضوعات.

كما يجب أن نذكر أن مؤلفاته كانت في حياته مطلوبة مرغوبًا فيها . حتى قال الغزي : « فلا تجد أحدًا في الدنيا الا لها طالب ، وبها راغب . حتى إنك اذا طلبتها لا تجدها الا استنساخًا ، مع أنها دائما تكتب وتنقل ، ويُصرف على ذلك من الدراهم والدنانير التي لكثرتها لا تحمل ولا تنقل . »[3] .

ولا توجد لدينا قائمة كاملة بجميع مؤلفات النابلسي . فالغزي في الورد الأنسي يذكر أنها زادت على الثلاثمائة ، لكنه يذكر منها مائة وثمانين .

ووجدنا في اجازة[4] أجازها النابلسي لعبد الرحمن بن محمد الشهير بابن كزبر مؤرخه في شوال سنة ١١٣٩ هـ. عدد مؤلفاته (٢٠٣) مؤلفات.

---

(١) الورد الأنسي ، ورقة ١٣٢ ب .

(٢) لطائف المنة ، ترجمة النابلسي .

(٣) الورد الأنسي ورقة ١٨١ ب .

(٤) مخطوطة في برنستن .

وهناك قوائم مختلفة سردت فيها أسماء مؤلفاته (١)، كتبت فيما يبدو، في فترات متباعدة، لذلك اختلف عدد المؤلفات فيها.

وقد حاولنا أن نجمع من المصادر المختلفة قائمة واحدة لجميع مؤلفاته. معتمدين على الورد الأنسي، واجازة النابلسي للكزبري، وسلك الدرر للمرادي وبروكلمن، وما وقع لنا من مخطوطات مؤلفاته، ورتبناها على حروف المعجم، وسننشرها على حدة إن شاء الله.

ويحتلّ التصوّف من مؤلّفاته المكان الأوّل. وشهرتُه فيه تفوق شهرته في العلوم الأخرى. ومن التصوّف اهتم النابلسي خاصة بمذهب «وحدة الوجود» الذي أخذه عن محيي الدين بن عربي[٢]، وألّف فيه، ودافع عنه، وشرح المقصود منه.

---

(١) نذكر منها:
١ – دفتر الكتب التي صنفها عبد الغني النابلسي (مخطوطة في الظاهرية عام ٥٩٥٢ من ورقة ٨٧ ب – ٩١ ب)
٢ – لطائف المنة لمحمد الغزي (مخطوط)
٣ – الوردُ الأنسي للكمال الغزي (مخطوط)
وعن المطبوعات:
المرادي: سلك الدر ٢ / ٣٠ – ٣٨
العظم: عقود الجوهر ٤٦ – ٦٩

(٢) يبدو أنهم كانوا يظنون في عصر النابلسي أن ابن عربي (المتوفي سنة ٦٣٨ هـ) بشّر بعبد الغني النابلسي.. جاء في الورد الأنسي، ورقة ٢٨ ب: بعد أن اورد قول ابن عربي:

لنا دولة في آخر الدهر تظهر ستظهر مثل الشمس لا تتستّر

قال: وقد أجمعت الناس سلفًاوخلفًا، على أن المراد بالدولة حضرة الشيخ عبد الغني، بل قد صرّح سيدنا الشيخ الأكبر باسم الاستاذ بعبارة تدل لشدة المحبة والانفصال على الاتحاد، بقوله مبشرًا في واردات فتوحاته:

الا إنني عبد الغني لذاته وليس سواه، فالغنى هو الله.

قال: ونسب الى الشيخ الأكبر أنه وُجد في بعض تصانيفه: سوف أظهر في الشام، وأسمّى «بعبد الغني» انتهى.

فهو باعث هذا المذهب ومجدّده. وكما كان له أتباع ومؤيدون، كان له خصوم ومعارضون [1].

أما الفنون الأخرى التي ألّف فيها فهي التفسير، والفقه، والعقائد، والمنطق، والقراءات، والأدب، وتعبير الرؤيا، وعلم الفلاحة، الى جانب مشكلات كثيرة من مشكلات عصره بيّن رأيه فيها، كشرب الدخان مثلاً، وبالاضافة الى الأجوبة الكثيرة، عن اسئلة سُئل عنها من جميع الأقطار. وكان النابلسي ينظم الشعر وترك لنا في مؤلفاته أربعة دواوين شعرية، وكذلك اهتم بالرحلات، وترك لنا اربع رحلات.

والذي يهمّنا الآن هو رحلاته بصورة خاصّة.

طبع من رحلاته التي ذكرناها قبلًا، رحلته الى بيت المقدس وهي «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية». (القاهرة ١٣٢٠ هـ/١٩٠٢ م)، ورحلته الكبرى المسمّاة «الحقيقة والمجاز» (دمشق ١٢٩٩ هـ، ثم القاهرة ١٣٢٤ هـ)، ورحلته الطرابلسية (بيروت ١٩٧١، بعناية الدكتور هربرت بوسّه).

وها نحن نقدّم نصّ رحلته الى بعلبك والبقاع.

---

(١) انظر ردّ الشيخ ابراهيم الحرّ الشيعي، عليه في تاريخ الأمير حيدر ص٧٥٨، ومعارضوه هم الذين لم يفهموا كلامه. وكان يقول: «كلامنا يحتمل وجوهًا كثيرة، فمن عرف مقاصدنا فليكتبه عنا، وإلّا فلا. (الورد الأنسي ورقة ٣٨ ب)، ويقول: كلامنا لا يفهمه الأجانب عنا (نفس المصدر). وقال في ديوان الحقائق (ص ١١٧):

كلامنــا نعرفــه نحن ومــن يعرفنـا
وإنمــا يجهلــه في الناس من يجهلنا.


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الرحلة الى بعلبك والبقاع

هدف الرحلة

يقول النابلسي في أول كتابه أنه ذهب الى بعلبك والبقاع العزيز بقصد زيارة ما فيها من الأولياء والصالحين، ورؤية الأصحاب والأجانب. وهذا كان هدفه أيضًا في سائر رحلاته.

رفقاؤه في الرحلة

لم يكن النابلسي وحيدًا في رحلته. فهو يقول: «وكان ذهابنا الى ذلك مع جماعة كرام، ذوي شهامة واحتشام، من أهالي دمشق الشام ...»، لكنه لا يسرد أسماءهم. وفي خلال الرحلة يذكر بعض الأسماء.

١ – ابراهيم جلبي ابن الراعي. ذكر له شعرًا في مبيته بقرية النبي شيت، وشعرًا في في بعلبك ... وكان أحد تلاميذه المقرّبين. ترجم له الغزي في الوردالانسي (٧٥آ) وقال إنه كان اديبًا ناظمًا ناثرًا. رافق الاستاذ في الرحلة البعلبكية وكان الاستاذ يسمّيه «ولد القلب»: وترجم له المرادي في سلك الدرر (١ / ٣٣) وقال: ورحل في خدمة الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الى البقاع وبعلبك ...» وتوفي سنة ١١٣٨ هـ.

٢ – رجل اسمه «بركات» كان دليلًا للطريق.

٣ – عيسى جوربجي ابن حيمور.

٤ – أحمد المعروف بابن النقطة «مفخر الأعيان. وذوي الفضل والاذعان» ترجم له المرادي فقال: أحمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن النقطة، وبابن المغرفة. مقاطع جي الخزينة وكاتبها. وكان من أرباب التوريق. توفي سنة ١١١٨ هـ. (١ / ١٠٨).

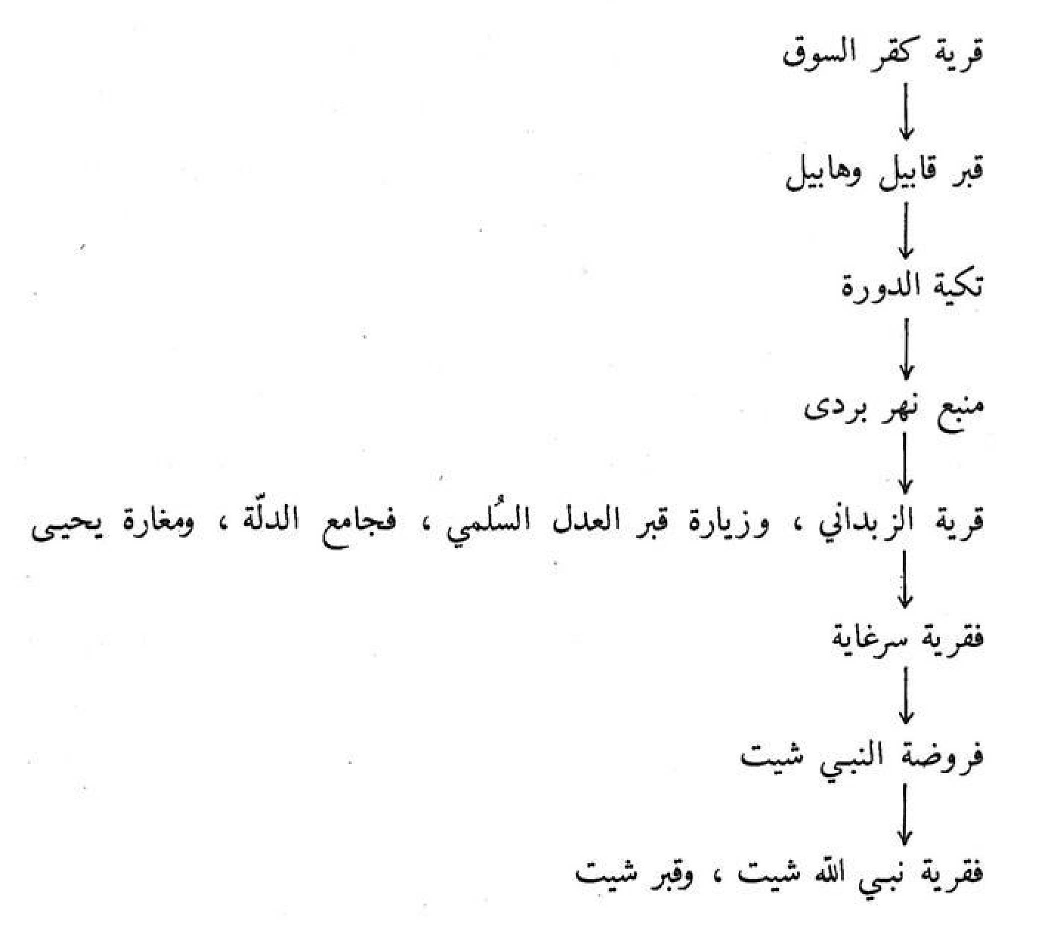
٥ – أحمد رئيس الأذان بدمشق

٦ – عبد الرحمن.

طريق الرحلة

بدأت الرحلة قبل طلوع الفجر من يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذي القعدة ١١٠٠ هـ (٣٠ سبتمبر ١٦٨٩) .

فبدأ بزيارة راس النبي يحيى في الجامع الأموي
ثم توجّه الى باب البريد ، مع مَنْ معه ، ليركبوا الخيل
وتوجه الى الصالحية فزار قبر محيي الدين بن عربي
ثم زار قبر الشيخ محمود، وقبر الشيخ يوسف القميني
ثم اتجه نحو قبر أبي بكر بن قوام – فمزار محمد الزغبي .
ثم توجّه الى قبة سيّار في جبل قاسيون ومنها الى
قرية دمر

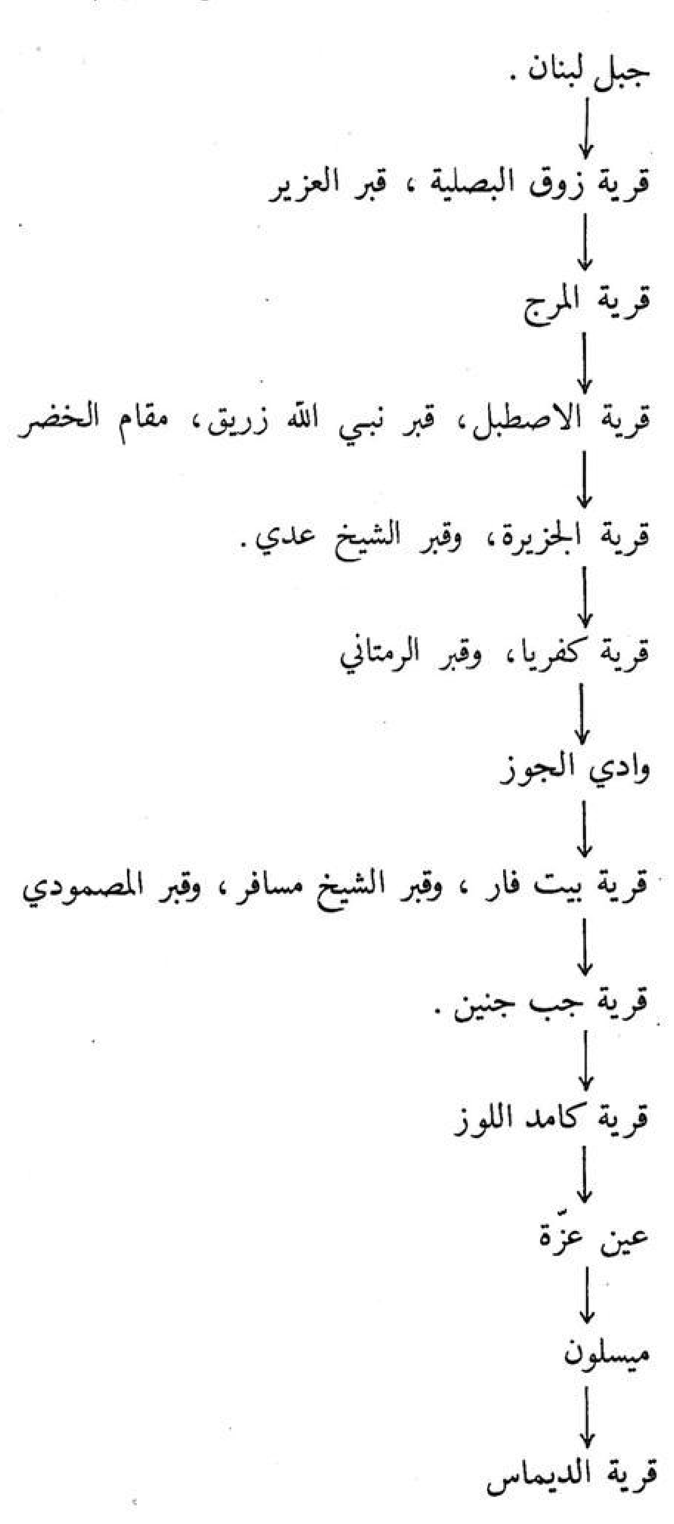


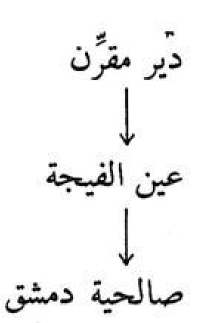


طريق العودة الى دمشق



مزارات جبل لبنان : قبر شيبان الراعي ← قبر نبي الله داود ←
عين الصالحين ← عين العابد ← عين المضيق ←


جبل لبنان .
قرية زوق البصلية ، قبر العزير
قرية المرج
قرية الاصطبل، قبر نبي الله زريق، مقام الخضر
قرية الجزيرة، وقبر الشيخ عدي .
قرية كفريا، وقبر الرمتاني
وادي الجوز
قرية بيت فار ، وقبر الشيخ مسافر ، وقبر المصمودي
قرية جب جنين .
قرية كامد اللوز
عين عزّة
ميسلون
قرية الديماس



الأشخاص الذين لقيهم في رحلته

١ً – مصطفى ابن التلّ في الزبداني . «كبير تلك الجهات ورئيسها» .
وعائلة التلّ ما تزال الى اليوم في الزبداني .
٢ً – الشيخ أحمد الخلوتي ، خادم جامع الدلّة .
٣ً – رجل من أرباب السياحة لقيهُ في الزبداني .
٤ً – باشا بعلبك محمد باشا .
٥ً – عبد الرحمن التاجي ، الخطيب ببعلبك .
٦ً – دفتردار الشام (لا يذكر اسمه) . لقيه ببعلبك .
٧ً – سردار العسكر في البقاع خداويردي جوربجي ابن الراعي .
٨ً – خطيب قرية كفريا .

موقف النابلسي من القبور التي زارها

كانت القبور التي زارها النابلسي وسيلة للتبرّك بها والدعاء عندها . وهي تنقسم الى قسمين :

آ– قبور الأنبياء من بني اسرائيل
ب– قبور العلماء المسلمين .

وقد وقف النابلسي وقفة الناقد تجاه هذه القبور ، رغم أنه كان يقصد التبرّك بها . فلم يمنعه التبرك من أن يتأكد او يُناقش اذا كان هذا القبر او ذاك هو صحيح . لذلك نراه يلجأ الى ذكر ما قاله المؤرخون أو الذين ألّفوا في الزيارات قبله ، فيستشهد بأقوالهم محاولًا الاثبات أو النفي او التشكيك بشأن القبر . لكننا نلاحظ أنه حتى

في حالة النفي يمدح النبيّ المزعوم ويطلب الدعاء والبركة . وقد اتخذ موقفًا واضحًا من قبور الأنبياء التي تُنسب اليهم فقال : « فلا قَطْعَ بتعيين قبر نبيّ أصلًا ، إلّا قبرُ نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلم ، فانه مدفون بالمدينة المنوّرة ، على طريق التواتر والعلم الذي لا شكّ فيه ، استفاضة ونقلًا ، فالزائر لقبر نبيّ من الأنبياء عليهم السلام مُحَصِّلٌ للبركة ، بالاستكمال ، على حسب صدق نيته في الزيارة » .

وهو يبني كلامه هذا على ما قاله الهروي من أن أكثر قبور الأنبياء وغيرهم قد اندرست وطمست لتقادم العهد وتغيّر الزمان .

وصفه بعض المدن

ترك لنا النابلسي في رحلته وصفًا لبعض المدن التي زارها ، مما أعطى رحلته قيمة كبرى لا تقدّر . فقد حاول ضبط اسماء كثير من القرى والمدن التي مرّ بها، مستشهدًا بما ورد في كتب اللغة أو ما ذكره الجغرافيون عنها . وتنبّه الى أن اسماء بعض هذه الأماكن تحرفه العامة لأن ألسنتهم تميل الى إمالة الحروف كأهل بعلبك . ويروى أحيانًا ما ورد في وصف هذه المدن من الشعر ، أو يصفها هو شعرًا . على أن أعظم ما في الرحلة هو وصفه لقلعة بعلبك ، وقلعة الأمير فخر الدين في قب الياس .

قلعة بعلبك

بعلبك مدينة قديمة مشهورة . ورد ذكرها كثيرًا في كتب الجغرافيين المسلمين [١] . ولكن لم يصف أحد منهم هذه القلعة بالتفصيل والدقة كما وصفها النابلسي . فقد

---

(١) انظر مثلًا ، ياقوت ، معجم البلدان ١ / ٦٧٣
المقدسي ، احسن التقاسيم ص ١٦٠
البكري ، معجم ما استعجم ١ / ٢٦٠
ابن خرداذبه ، المسالك ص ٧٧
ابن الفقيه ، كتاب البلدان ص ١١٨
ابو الفداء ، تقويم البلدان ص ٢٥٤
ابو حامد الأندلسي ، تحفة الألباب ص ٧٨
شيخ الربوة ، نخبة الدهر ص ٣٥، ٣٨، ١٩٩
القزويني ، آثار البلاد ص ١٥٦

نظر اليها نظرة عالم بالآثار ، بالمعنى الحديث ، ووصف أبوابها ، وغرفها ، وساحاتها ، وأعمدتها ، ورواقاتها ، وأواوينها ، وأبراجها ، وسلالمها ، وما يحيط بها . بل ذهب بعض الأحيان الى ذكر قياس الأحجار والأعمدة وطولها وعرضها ، وعددها . وأضاف الى ذلك طرفًا من أخبارها التاريخية قديمًا ، وحتى عصره . وقد ذكر أن وصفه لها «كان بعضه بالمعاينة ، وبعضه بالإخبار ممن كانت بلاده بعلبك ، وتكرّر له الدخول فيها من صِغره الى كِبره ، وله بها معرفة تامّة ، من الثقات الأخيار». وعلى هذا فقد تفرّد النابلسي بهذا الوصف الدقيق المهم الذي لا نجد مثله في أيّ كتاب من كتب الرحّالة والجغرافيين المسلمين الذين سبقوه .

وقد زار بعلبك بعض الرحّالين الاوربيّين ووصفوها . نذكر منهم : الرحّالة الفرنسي دي مونكوني De Moncony الذي زارها عام ١٦٤٧ م (١٠٦٩ هـ) ، ونشر ما كتبه عنها ، فيما بعد ، في ليون Lyon عام ١٦٦٥ م (١٠٧٦ هـ) باسم : *Voyages de monsieur de Moncony*

ثم زارها الرحالة الانكليزي موندريل Henry Maundrell في عام ١٦٩٧ م (١١٠٩ هـ) ، أي بعد زيارة النابلسي لها . ونشر ملاحظاته في اكسفورد عام ١٧٤٠ م باسم : *A Journey from Aleppo to Jerusalem at Easter 1697.*

وبعد نصف قرن من زيارة موندريل ، زارها الرحّالة الانكليزي روبرت وودّ عام ١٧٥١ م (١١٦٦ هـ) – اي بعد وفاة النابلسي . ونشرت رحلته في لندن عام ١٧٥٧ م باسم : *The ruins of Balbec, otherwise Heliopolis in Coelesyria* (1).

ولم يطلع موندريل ولا وود على ما كتبه النابلسي عن بعلبك .

وقد جاء في عام ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) الى بعلبك العالم الأثري تيودور ويغاند Th. Wiegand على رأس بعثة أثرية ألمانية .

وقد دامت أعمال هذه البعثة من عام ١٩٠٠ – ١٩٠٤ م ، ونُشرت نتائج الحفريات ، بعد عشرين عامًا ، عام ١٩٢١ في برلين وليبزيغ باسم Th. Wiegand, *Baalbek* . لكنه ، كما يبدو ، لم يُتح له الاطلاع على ما كتبه النابلسي أيضًا .

---

(١) أفادني بهذه المعلومات الدكتور ڤيلد . فله الشكر . وأشار الى بعضها بوسّه في مقدمة الرحلة الطرابلسية ص ١٧

وفي عام ١٩٥٣ ارسلت اليونسكو بعثة الى بعلبك لتفقد ما تحتاج اليه آثارها . وكانت مؤلفة من Paul Collart ، والأمير موريس شهاب و Armando Dillon, وطبع تقريرها عام ١٩٥٤ باسم : *Livan, Aménagement de la ville de Tripoli et du site de Baalbek*. Musées et Monuments, VI, Unesco.

وقد أشار التقرير الى ما كتبه الرحّالون الأجانب ، لكنه لم يذكر ما وصفه النابلسي ، على أهميته .

قلعة فخر الدين الثاني

والوصف الثاني الذي تفرّد به هذه الرحلة هو وصف قلعة قب الياس ، التي بناها الأمير فخر الدين بن معن الثاني ، المقتول سنة ١٠٤٣ هـ/ ١٦٣٣ م . وقد كانت قب الياس مركزًا للأمير فخر الدين ، فلا غروَ إن بنى فيها هذه القلعة العظيمة . ولم أجد في المصادر متى بنى فخر الدين هذه القلعة . كما أني لم أجد أحدًا ممن كتب عن فخر الدين وصف هذه القلعة ، فيكون وصف النابلسي هو الوحيد الذي وصل إلينا [١] .

وقد جرى النابلسي في وصفه هذه القلعة على اسلوبه في وصف قلعة بعلبك من حيث الدقة والتفصيل .

ويقول عيسى اسكندر المعلوف في « تاريخ الأمير فخر الدين » أن هذه القلعة تهدّمت ولم يبق منها إلا جدارها [٢] .

---

(١) انظر عن فخر الدين :

الخالدي ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني ، تحقيق اسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ١٩٣٦

المحبي ، خلاصة الأثر ٣ / ٢٦٦

الشدياق ، أخبار الأعيان .

المعلوف ، عيسى اسكندر ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٦) .

البوريني ، تراجم الأعيان ، ج ١ ص ٢٠٧ وما بعدها (تحقيق المنجد ، دمشق ١٩٥٩) .

(٢) المعلوف ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ، ص ١٠٨ ، حاشية ٢

وثمة فائدة أخرى لرحلة النابلسي هي تصويرها النفوذ الاسلامي في لبنان في القرن الثاني عشر الهجري ، من خلال إيمان المسلمين فيه بالمزارات الدينية والأنبياء السابقين. وجميع رحلات النابلسي الى لبنان تصوّر هذا النفوذ. وقد لاحظ بوسّه ذلك في رحلة النابلسي الطرابلسيّة أيضًا.

اسلوب الرحلة

اتبع النابلسي في كتابة رحلته طريقة السجع ، التي كانت شائعة في عصره. لكنّه أكثر من الشعر في خلالها، كما أنه خلط الجدّ بالهزل ، وسيرى القارئ أنه أطال الحديث عن حمار صادفوه في بعلبك (ص ٦٨، ٨٧) والنابلسي يرى أن النفوس تملّ الجدّ وحده ، ولا بُدّ من الهزل أحيانًا، ليكون مدعاة النشاط والتسليّة.


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

مخطوطات حلية الذهب الإبريز



مخطوطات حلّة الذهب

اعتمدنا في نشر « حلّة الذهب الابريز » على أربع مخطوطات .

المخطوطة الأولى : مخطوطة المتحف البريطاني .

رقمها :

عنوانها : حلّة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز للشيخ عبد الغني فسح الله في أجله آمين .

أولهـا ! بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . الحمد لله الذي أعزّ قدر البقاع ..

آخرها : .. فرغنا من التحرير بمعونة الرب القدير ليلة الأربعاء العشرين من ذي الحجة سنة مائة وألف بالخير . والحمد لله رب العالمين .

ناسخها وتاريخ نسخها : بعد العبارة السابقة نجد : « وقد فرغت من كتابة هذه الرحلة الشريفة المعظمة المنيفة في يوم الجمعة السابع من شهر محرم الحرام افتتاح سنة احدى ومائة وألف من هجرة الهادي عليه أكمل الصلاة والسلام .. وذلك بحضرة الصحابي الجليل سعد بن عُبادة [1] ، وحصل لنا في ذلك المكان الحُسنى وزيادة . على يد العبد الفقير الحقير محمد بن ابراهيم بن محمد الدكدكجي الحنفي ... » .

عدد اوراقها : ٥٠ ورقة .

الخط : نستعليق جيد واضح .

ملاحظات : في الهوامش اضافات بخط الناسخ ، وبعد كل اضافة كلمة : صح . الألفاظ مشكولة على الأغلب . بعض الكلمات والفواصل بالأحمر . وقد تملك هذه النسخة عدد من علماء آل الغزي : منهم عبد الرحمن الغزي ، والسيد محمد شريف بن محمد الغزي ، ومحمد كمال الدين الغزي مؤلف الورد الأنسي .

(١) انظر العدوي ، كتاب الزيارات بدمشق ، ص ١٣

ميزاتها : هذه أقدم نسخة توجد لدينا من الرحلة . ويبدو أن النابلسي ما كاد يفرغ من تحرير رحلته حتى استعارها الدكدكجي وبدأ ينسخ بخطه نسخة عنها ، حتى أتم كتابتها بعد سبعة عشر يومًا. لأن النابلسي فرغ من تحرير الرجلة في العشرين من ذي الحجة سنة ١١٠٠ هـ ، والدكدكجي انتهى من النسخ في السابع من المحرم سنة ١١٠١ هـ.

وكاتب النسخة محمد بن ابراهيم الدكدكجي من علماء دمشق الكبار في القرن الثاني عشر الهجري ، قال عنه الكمال الغزي : الامام العلّامة الصوفي النحرير... كان أخص تلامذة الاستاذ – اي النابلسي – وأكثرهم خدمة له واختصاصًا به . وقال : وكتب غالب كتب الشيخ بقلمه والاستنساخ ، ولم يُضع منها حرفًا . ولما أخبر الاستاذ بوفاته بكى ، ولم يعهد أنه بكى على ميت قبله ... » [١]

وذكره المرادي في سلك الدرر فقال : الامام المتفنن البارع الأديب نادرة العصر.. برع في القراءات والحديث والنحو.. وكان يُلازم دروس عبد الغني النابلسي.. وكتب كثيرًا من مصنفاته بخطه الحسن ، وسافر بخدمته في رحلته الكبرى ، وكان الاستاذ شديد المحبة له ... » [٢] .

وذكره ابن جمعة فسمّاه : لبيب عصره وزمانه العالم الفاضل [٣] فهذا كله يدلنا على أن الدكدكجي لم يكن ناسخًا كالناسخين ، بل كان عالمًا ، وكان مقرَّبًا من النابلسي . وهذا يجعل للمخطوطة شأنًا .

وقد ترك الدكدكجي كثيرًا من التواليف ذكرها الكمال الغزي ، وكحالة [٤] ، ووصف يوسف العش مخطوطة له عن طبقات الشاذلية محفوظة بالظاهرية بدمشق، رقمها ٤٧٦٢ عام ، كتبها بخطه . جاء في آخرها : جمعه الفقير الى الله تعالى محمد بن ابراهيم الدكدكجي خادم الشاذلية ، وسبب ذلك المحبة الخالصة لهم . » [٥]

---

(١) الورد الأنسي ، ورقة ٥٣ آ – ٥٨ آ.

(٢) سلك الدرر ٤ / ٢٥

(٣) الباشات والقضاة ص ٥٨

(٤) معجم المؤلفين ٨ / ٢١٤

(٥) فهرس التاريخ بالظاهرية ص ٢٩٢ ، وانظر بوسّه ، مقدمة التحفة النابلسية ص ٣٠–٣١

وشرح المرادي معنى كلمة الدكدكجي في ترجمة ابنه ابراهيم بن محمد الدكدكجي[1] فقال : « نسبة تركية وهو صانع الدكديك ، وهو باللغة التركية ما يوضع ساترًا على ظهر الحصان . » . وعلّق ناشر الكتاب في الهامش فقال : « لا يوجد شيء يوضع على الحصان اسمه دكدك . فالظاهر أنه دودكجي بمعنى القصّاب أعني الزمّار . ولربما أصله كان بطائفة الدليلان زمّارًا ، أو كان يصنع القصابة . » هـ.

(١) سلك الدرر ١ / ٢١


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

المخطوطة الثانية : مخطوطة الظاهرية الاولى = ظ ١

رقمها : **٧٩١٠**

عنوانها : **هذه الذهب الابريذ في رحلة بعلبك والبقاع العزيز لحضرة سيدي الاستاذ الشيخ عبد الغني الشهير بابن النابلسي قدس الله سره** . (اضيف بعد كلمة هذه بخط مغاير : حلة . وصحح الابريذ بـ الابريز) .

اولها : **بعد البسملة : الحمد لله الذي اعزّ قدر البقاع .**

آخرها : **قول النابلسي : « فرغنا من التحرير بمعونة الرب القدير ليلة الأربعاء** العشرين من ذي الحجة سنة مائة وألف بالخير. والحمد لله رب العالمين.

ناسخها وتاريخ نسخها : نجد في آخر النسخة : « تمت كتابتها على يد أفقر الورى وأحوجهم الى فضل ربه سبحانه وتعالى العبد الفقير أحمد بن عبداللطيف ابن أحمد الشراباتي خادم رياسة المؤذنين بالجامع الشريف الأموي. في نهار الأحد ثامن عشري سفر (صفر) سنة احدى ومائة وألف. تم .

عدد ورقاتها: **٥٥ ورقة .**

مقابلاتهـا : قوبلت هذه النسخة على نسخة المؤلف . فنجد في آخرهـا « الحمد لله. بلغ مقابلة على نس[خة المؤلف] رضي الله عنه مع العبد [الفقير محمد بن] ابراهيم الدكـــدكجي الشا[ذلي] لطف الله به وجعله من ... آمين ».

الخط : نسخ عادي .

الحبر : اسود، لكن الفواصل، ورؤوس الجمل في مبتدأ الكلام وُضعت بالحبر الأحمر. وكذلك وُضعت عنوانات على الهامش تدل على مضمونات الرحلة بالأحمر.

ملاحظات : الورقة **٢٠** آ – ب أضيفت بخط غير خط الناسخ . والورقة ساقطة تمامًا من الأصل .

اضافات على الهامش بخط المقابل . وبعد كل اضافة كلمة : صح .

لم أجد ترجمة للناسخ . ومن المرجح أنه من تلاميذ الشيخ . لقوله في عنوان الكتاب .. هذه حلة ... لحضرة سيدي الاستاذ عبد الغني ...

وقد ورد في الرحلة اسم شخص كان يُرافق النابلسي اسمه أحمد .رئيس الأذان بدمشق . ولعله هو الناسخ .

وقد قابل الناسخ نسخته على نسخة المؤلف مع محمد بن ابراهيم الدكدكجي ناسخ النسخة الأولى ب الموجودة في المتحف البريطاني .

المخطوطة الثالثة : مخطوطة ليبزيغ = ل

رقمهـا :

عنوانها : هذا كتاب حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز لمولانا قطب دائرة الوجود جدّنا الشيخ عبد الغني افندي النابلسي قدس الله سرّه .

اولهـا : كالنسخ السابقة .

آخرها : كذلك كالنسخ السابقة .

ناسخها وتاريخ نسخها : وقد فرغ من نسخها الفقير خادم القراء في تكية سيدي مؤلفها وأنا الفقير اسمعيل النابلسي عفى عنه في ليلة الأحد سبعة (كذا) محرم سنة ست وتسعين وماية وألف . (١١٩٦ هـ) .

عدد أوراقها : ٣١ ورقة

الخط : نسخ

ملاحظات : على الورقة الاولى تحت العنوان « أن أسعد ابن ابن ابن ابن سيدنا عبد الغني » قد تملك هذه المخطوطة .

والى جانب ذلك : « ... طالعت هذه الرحلة منسوبة (كذا) الى جدي امام العصر ووحيد الدهر خاتمة الأولياء وفريد الأصفياء سيدي عبد الغني النابلسي . وأنا الفقير الحقير محمد سعيد بن محمد بن محمد سعيد بن مصطفى بن اسماعيل ابن الاستاذ . »

وفي آخرها تحت تاريخ النسخ تأكيد لمطالعة المذكور محمد سعيد هذه النسخة .

لكن الناسخ لا يذكر عن أي نسخة نسخ هذه النسخة ، لكنها تكاد تكون طبق الأصل عنْ نسخة الدكدكجي .


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

المخطوطة الرابعة : نسخة الظاهرية الثانية = ظ ٢

رقمها : ٨٣٦٦

عنوانها : هذه حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز ، للامام الهمام سيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه .

أولها : بعد البسملة والاستعانة : الحمد لله الذي أعز البقاع ...

آخرها : كالمخطوطتين السابقتين .

تاريخ نسخها : نجد في آخرها : وقد وافق الفراغ من تحرير هذه الرحلة المبارك (كذا) الميمونة وذلك في يوم السبت ثلاث (كذا) خلون من شهر شوال المبارك الذي هو من شهور سنة سبع وسبعين ومايتين وألف ، على يد الفقير الحقير الراجي عفو ربه القدير اذا حشره وعليه عَرَضه محمد أديب ابن السيد حسني ابن السيد محمد اديب افندي (افندي) غفر الله ذنوبه ...

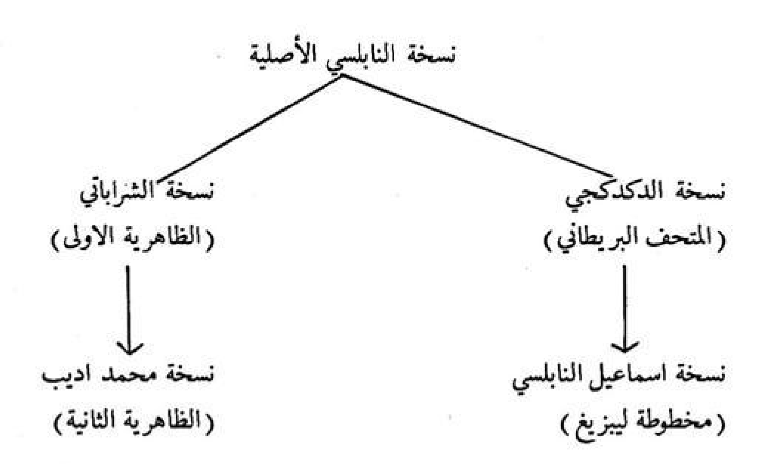
عدد اوراقها : ٦٠ ورقة .

الخط : نسخ سقيم .

ملاحظات : لا يذكر الناسخ عن أيّ أصل أخذها ، لكنّها تكاد تكون صورة طبق الأصل عن ظ ١


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

نسب المخطوطات



لدى مقايسة هذه النسخ بعضها ببعض لم نجد فيها فروقًا تذكر ، أو اختلاف كبير ، فتكاد كلها تكون طبق الأصل ، عدا بعض الأخطاء في رسم الكلمات التي هي من جهل الناسخ ، والتي لم نعبأ بالاشارة اليها ، لأنها لا تبدّل في النص شيئًا .

وقد اتخذنا أقدم مخطوطة لدينا ، وهي مخطوطة المتحف البريطاني ، الأصل الذي اعتمدنا عليه . فانه اول نسخة كتبت بعد نسخة المؤلف على ما نعتقد ، كما أنه صحيح مضبوط ، كتبه عالم متقن ، وتلميذٌ مقرّب من النابلسي .

وقد وجدنا مخطوطات أخرى من الرحلة كمخطوطة جامعة الرياض ، وهي مخطوطة متأخرة . لكننا لم نهتم بها ، لأنها لا تقدّم ايّ إضافات على النص المعتمد ، فضلاً عن تأخر نسخها .



حلة الذهب الأبريز

في

رحلة بعلبك والبقاع العزيز


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين

الحمدُ لله الذي أعزّ قَدْرَ البِقاعَ . بما أودعَ فيها من أهل الارتقاءِ والارتفاع ، ورفع بجنابه العزيز ، كلَّ من[1] انخفض لجلاله ودخل منه في حِرْزٍ حريز . وشرّف بلادَ الشام ، بأن جعلها دون غيرها من البلاد مَسْكَنًا لأنبيائه الكرام ، ومَدْفَنًا لأجسادهم العِظام والعِظام ، عليها أكملُ الصلاة وأتمّ السلام ، فليس لأحدٍ منهم في غَيْرها قبرٌ ولا مَزار ، سوى قبرِ نبيّنا محمدٍ صلّى الله عليه وسلّم النبيِّ المختار ، فإنّه موجود بالمدينه ، وهي من دون المدائن عليه أمينه . ولهذا قلت من النظام ، في هذا المقام :

بـــلادُ الشام مِن خَيْرِ البـــلادِ	لأجـل الأنبيـــاءِ ذوي الرشادِ
فإنّ بهـــا مـدافنَهم جميعًـــا	سوى طٰه الرسولِ الى العبـــادِ
وحَـــدُّ الشام طـولًا مـــن عَريشٍ	الى أرض الفُرات المُستجـــادِ
ومن جِسْرِ المسيح يُقـــالُ عَرْضًا	الى طرسوسٍ آلبلـــدِ المُـــرادِ[2]
ومن يافا كـــذاك الى معـــانٍ	فشامٍ كـلّ ذلك مـــن بـــلادِ

فكأنّ ما قد تفرّق من الأنبياء في البلادِ الشاميّة ، جُمع على التمام في البلاد الحجازيـة ، وقام في ذلك الميزان/بالإجمال والتفصيل ، كما اجتمعتْ الصحايـف والكتب السابقة في معاني التنزيل . وأمّا الصحابةُ والأولياء والصالحون ، فإنّهم في أقطار الأرض متفرّقون ، وفي سَهْلِ البلادِ ووَعْرِها وجبالها ووهادها مدفونون . فرضِيَ الله تعالى عنهم واختصّهم برحمته على أبلغ ما يكون ، ما توالى الليلُ والنهار ، واختلَفَت الحركةُ والسكون .

٣ آ

(١) « من » مكرّرة في ظ ١

(٢) هذا البيت مضاف في الهامش وبعده : صح .

أما بعدُ ، فيقول شيخنا العلّامة فريدُ أهل التحقيق في المعارف ، ووحيد أهل التدقيق في العوارف ، صاحب المقام القدسي ، والقُرْب الأُنسي سيدي الشيخ عبد الغني بن الشيخ اسماعيل النابلسي [١] ، نفعنا الله به والمسلمين ، بجاه سيّد المرسلين :

لقد يسّر الله تعالى لنا السيْرَ الى أرض البقاع العزيز ، التي هي بالنسبة الى فضّة مائها كالذهب الإبريز ، بقصد زيارة ما فيها من الأولياء والصالحين ، المتميّزين بالكمالات أكمل تمييز . بارك الله تعالى لتلك الأرض ببركتهم في مُدِّها والقَفيز ، فأنضاف الى ذلك ذهابنا الى بلدة بعلبك المحروسة ، والاجتماع بما فيها من مزارات الأولياء / المأنوسة ، ورؤية ما لنا هناك من الأصحاب والأحباب ، ٣ ب
ولم يكن لنا قبل ذلك الى تلك الجهات ذهاب . وقد سمّينا جمعيّتنا هذه « حُلّة الذهب الإبريز ، في رِحلة بعلبكّ والبقاعِ العزيز » .

وكان ذهابنا الى ذلك مع جماعة كِرام ، ذوي شهامة واحتشام ، من أهالي دمشق الشام ، حرسها الله تعالى على مدى الأيام .

(١) في « ل » : .. فيقولُ شيخنا العلامة عارف المحققين ، ومحقق العارفين ، صاحب المقام القدسي سيدي الشيخ عبد الغني بن سيدي الشيخ اسماعيل ... »

اليوم الأول

فخرجنا من البلاد قبل طلوع الفجر ، رغبة في حصول الثواب والأجر ، وذلك في يوم الثلاثاء المبارك الخامس عشر من ذي القعدة الحرام ، سنة ألف وماية [١] من هجرة النبيّ عليه الصلاة والسلام .

[زيارة رأس يحيى عليه السلام]

فأوّل ما توجّهنا الى زيارة رأس يحيى بن زكريا عليهما أشرف التحيّات ، من الملك العلام . ودعونا الله تعالى في ذلك المزار في الجامع الأموي للخاصّ والعام . وقلنا في ذلك ، على حسب ما هُنالك : [من الخفيف]

وابتدأنا برأسِ يحيى فزُرْنــا   وزدنــا الدعــاءَ في رفــعِ بأسِ
وإذا حــاولَ المُحاوِلُ أمــرًا   كان خيرًا ٱبتــداؤه بالــرأسِ

وأدّيْنا حقّ الجيرة لأنّ بيتنا بجوار الجامع الأموي . كما أشار الى ذلك جدُّ والدنا شيخ الاسلام الشيخ اسماعيل/النابلسيّ، لا زال مشمولًا برحمــة الربّ القويّ ، حيث قال في تاريخ البناء ، وهو من ألطف النّبَاء : [مجزوء الرجز]

قد قلتُ في تــاريخ بَيْـ   ـتي بيتَ شعرٍ قــد تــلاهْ
بيتي جــوارَ الجامــع الأ   مويّ مــن نِعَــمِ الإلــهْ

ثم إننا توجّهنا بعد ذلك من جهة باب البريد ، وركبنا خيولنا بمعونة الله تعالى متوجّهين الى ما نريد ، وفي ذلك قلنا :[من الخفيف]

وركبنا خَيْــلَ البريدِ وسرنــا   نتمشّى مــن نحو بــاب البريدِ
فعسى الله أنْ يمــنّ علينــا   بالذي يقتضي الثنــا مــن مزيدِ

---

(١) توافق ٣٠ سبتمبر ١٦٨٩ م .

[قبر الشيخ محيي الدين بن عربي]

حتى قدمنا الى صالحيّة دمشق الشام ، وترآءت لنا بشاير القبول من نواحي هاتيك الخيام ، التي هي مزارات السفح المبارك ، مطارح شعاعات الأرواح الكِرام . أرواح الصالحين المودعة في جبل قاسيون الحريّة بالاجلال والإكرام . وقصدنا زيارة الشيخ الأكبر ، والكبريت الأحمر ، قطب العارفين ، وحدقة عيون الأبرار والمقرّبين ، الشيخ محيي الدين ، ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي [١] ، قدّس الله سرّه ، وأعلا في دَرَجات القُرْب مَقرّه . فصلّينا هناك في ذلك الجامع المعمور صلاة الصبح بالجماعة ، وحصلنا/إن شاء الله تعالى على كمال الأجور. ثم زرنا تلك الحضرة المباركة التي لم تزل مهبطًا لأنوار الملائكة .

[زيارة الشيخ محمود ، والشيخ يوسف القميني]

وتوجهنا الى زيارة شيخنا الشيخ محمود ، والشيخ يوسف القَميني [٢] – بفتح القاف وكسر الميم مُخفّفة – نسبة الى القمين ، كأمير ، وهو أتون الحمام – لمبيته به . وكانت زيارتنا لهما في مزارهما الجديد ، ومقامهما الذي ينمو إشراقُه بهما ويزيد . ودعونا الله تعالى هناك دعاءنا المذكور ، للإناث والذكور . ومكثنا حصّةً حتى كملتْ رفقتُنا وتمّ لنا السرور ، وشربنا القهوة واستعملنا الفطور ، وحصلت لنا القوّة وزال عنا الفتور .

ثم سرنا على سَمْت ذلك السفح . وأشرقتْ علينا بركات هاتيك القبور ، ودعوْنا الله تعالى ونحن ذاهبون . ومشينا بعيوننا وقلوبنا على تلك التربة ونحنْ راكبون .

[أبو بكر بن قوام]

ثم وقفنا في جانب ذلك الطريق ، وقرأنا الفاتحة الى روح الشيخ أبي بكر بن قوام [٣] صاحب المعرفة والتحقيق ، وأرواح مَنْ ساكَنَه وضاجعه في ذلك المقام الذي هو بأنواع الخير حقيق .

---

(١) توفي سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م ؛ انظر القلائد الجوهرية ص ٣٩٦

(٢) توفي سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠م ؛ انظر القلائد ص ٣٩٧ . وللنابلسي كتاب عن هذين الشيخين اسمه الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود » مخطوط في الظاهرية ، عام ٣٦٧١ (٧٨)

(٣) توفي سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م ؛ انظر القلائد ص ١٩٨ و ٤٠٨

[محمد الزغبي]

ودخلنا الى مزار الشيخ محمد الزغبي[١]، قدّس الله سرّه ودعونا الله تعالى عنده، وقصدنا بركته ورِفْدَه. وكان / خادمه الشيخ محمد مريضًا فعُدْناه، وأضافنا بما تيسّر، من خبزٍ وصعتر. ٥آ

[قبّة السيّار]

ثم ركبنا وتوجهنا على طريق قبّة السيّار[٢]، في جبل قاسيون المتشعشع بالأنوار. وفي[٣] رحلة العلّامة الشيخ حسن البوريني رحمه الله تعالى المسمّاة بـ «المنازل الأنسيّة في الرحلة الطرابلسيّة» قال: وقبّة السيّار قبّة عظيمة مُشرفةٌ على جانب الربوة وعلى دمشق، ويوجد بها نسيمٌ يُحيي الفؤآدَ السقيم. وغالبُ أهل دمشق لا يعرفون قبّة السيّار الى مَنْ تُنْسب، وكذلك قبة النصر. والذي في التاريخ أنّ سيّارًا والد نصر، ونصر بن سيار، مشهور في التاريخ. وكان كل منهما أميرًا بالشام. في زمن الخلفاء العبّاسيّة. وبنى سيّار القبة المذكورة، وجاء ولده بعده أميرًا فبنى القبّة المعروفة به الآن. وغالب أهل دمشق يقولون إن القبة المشهورة بقبّة النصر كانت لقلاوون المنصور. والحالُ أنها بناء الأمير نصر كما ذكرنا. لكنّ الله تعالى يعلم أن قلاوون أقام بها أيامًا لأجل صحّة الهواء حين أبلّ من عِلّة لحقته.» اهـ.

[قرية دُمّر]

ومررنا على قرية دُمّر[٤]، بضم الدال المهملة وتشديد الميم المفتوحة.

[قرية كفر السوق]

ومشينا في الصحراء حتى وصلنا الى قرية الكَفْر[٥]، كَفْر السوق، من غير أمرٍ يعوق. والكَفْر بفتح الكاف وسكون الفاء من الأرض ما بَعُد عن الناس، والأرض

---

(١) لم يذكره في القلائد الجوهرية.

(٢) انظر القلائد ص ٢٦٠؛

(٣) قوله: وفي رحلة العلّامة .. الى نهاية النص مضاف في الحاشية في الأصل، وهو في المتن في النسخ الأخرى.

(٤) انظر: كرد علي، غوطة دمشق ص ١٣؛

(٥) هي قرية سوق وادي بردى. انظر الريف السوري ٣٥٩/٢

المستوية ، والنبت . ذكره في القاموس . ونزلنا على حافة ذلك النهر ، وحمدنا الله في السرّ والجَهْر . ثم صلّينا هناك صلاة الظهر . ومرّ علينا نائب القاضي ببعلبك وهو ذاهب الى الشام ، وقعد عندنا يتجاذب معنا في بعض الأمور أطراف الكلام .

[قبرا قابيل وهابيل]

ثم مررنا في الطريق على قبْرَيْ قابيل وهابيل[1] ابنَيْ آدم عليه السلام ، في مكان عالي ، كأنه كوكب متلالي . قال المسعودي في تاريخه المسمّى بـ« مروج الذهب ومعادن الجوهر المنتخب » : إنّ قابيل اول مولود لآدم لما هبط من الجنة ، وهابيل ثاني مولود له . واختُلف في الاسم ، فقيل إن اسمه قاين ، لا قابيل . واليه ذهب الأكثر / من أهل الكتب وغيرهم . ومنهم من روى أن اسمه قابيل ، وهذا قول فريق من الناس والأغلب ما قدّمنا . [2]

وقال ابن الجَهْم في قصيدته في بدء الخلق [3] :

فشبَّ هابيلُ وشَبَّ قــايِنُ ولم يكــنْ بينهما تَبـايُنُ

ويُقال إنه اغتاله في بريّة قاع . ويُقال إنّ ذلك كان بأرض الشام من بـلاد دمشق . اهـ .

[تكية الدورة]

ثم كان مرورنا بتكيّة الدّوْرَة ، بفتح الدال المهملة وسكون الواو والتـاء المستديرة . وهي في أرضٍ سهلة ذاتِ اخضرار ، كأنها جنةُ القرار . ورأينا التكيّة المذكورة وهي خراب ، بعد ما كانت عامرة . وَوَقْفُها يجري عليها للمارّة بها على وجه الصواب .

ولله درُّ القائل من الأوائل :

مَرَرْتُ بربْعٍ في فَلاةٍ فـراعني به زَجَلُ الأحْجارِ تحتَ المعـاولِ
تناولهـا عَبْلُ الـذراعِ كـأنّما جنى الدهرُ فيما بينهم حربَ وائلِ

(١) قارن مع معجم البلدان ٤ / ١٤
(٢) انظر المسعودي ، مروج ١ / ٣٧
(٣) انظر ديوان علي بن الجهم ص ١٥٩

أهادِمَها ، شُلّتْ يمينُك ، خَلِّها لمعتبرٍ أو واقفٍ أو مُتسائِــلِ
منازلُ قومٍ حدّثتْنا حــديثَهم ولم أر أحلى من حديث المنازلِ

ورأينا بيوت التركمان نازلين بالقرْبِ منها ، على ذلك الماءِ الجاري من غير بُعْدٍ
آ عنها . وما أحسنَ قول القائل /
والحسْنُ يظهرُ في شيئين رونقُــه بيتٌ من الشِعْر أو بيتٌ من الشَعَرِ

[منبع نهر بردى – عين الحداد]

الى أن وصلنا الى منبع نهر بردا[١] ، فإذا هو ينبع في تلك الصحرآء ، ثم يجري ماؤه الزلال على هاتيك الأرض الخضرآء. ونزلنا بجنب عين يُقال لها عين الحدّاد، ماؤها العذْبُ البارد على حرارة الأكباد. وكان نزولنا في ذلك المكان بعد العَصْر. فاتسعنا في مجلسنا ذلك حتى صَلّيْنا الفريضة من غير حَصْر.

[قرية الزبداني]

ثم ركبنا الى أن وصلنا الى قرية الزبداني[٢]، وكانت الشمس آخذة في التبـاعد والتداني ، وهي مائلةٌ الى الغروب ، ومُؤْذنَةٌ بسرور القلوب ، فبتْنا في جماعةٍ أثارَ غروبُ الشمسِ لطلوعِ الضيفان هممهم العالية ، وروائحهم التي تفوقُ روايح الغالية . فتذكرتُ المثلَ المشهور الذي تتختّم بالمسك فواتحه : مَنْ عاشر الزبدانيَّ فاحتْ عليه روائحُه . وقد اكتفى مَنْ قال ، وأحسنَ في المقال :

دِمَشْقُ وافى بخـــيرٍ نسيمُهـــا المُتَــداني
وَصَحَّ قــولُ البرايــاً مَــنْ عــاشر الزبداني /

ثم بتنا بها تلك الليلة المباركه ، يقطع سرورُنا على الهمّ مسالكه .

(١) انظر ياقوت ، معجم البلدان ١ – ٥٥٦ ؛ المنجد ، خطط دمشق ص ٢٣ وما بعدها :
Dussaud, *Topographie historique de la Syrie*, p. 288.

(٢) انظر : ياقوت : معجم البلدان ٢ – ٩١٣ ؛ وصفي زكريا ، الريف السوري ٢ – ٢٦٨
Dussaud, *op. cit.*, 288.

اليوم الثاني

ثم أصبحنا في ثاني يومٍ ، يومِ الأربعاء ، وقد صلّينا الصبح ، فجاء الى عندنا وغسل بحسن وجهه من ذلك الليل ظلمة القبح ، كبيرُ تلك الجهات ورئيسُها ، وجوهر أصداف هاتيك النواحي ونفيسُها الشيخ مصطفى المعروف بابن التَلّ ، وأضافنا في ذلك اليوم وتلك الليلة ، ثم ذهب بنا الى بُستانه نتفيّأ ظلاله ومَقيله ، فإذا هو بُستانٌ كثيرُ الفواكه والثمار ، مُتّسعُ الجوانب والأقطار ، وفيه من الألوان ما تستلذُّ به الأنفس والأبصار ، ونقول في ذلك من الأشعار :

يـا سقى اللهُ ساحـةَ الزبداني … كُلَّ صَوْبٍ من الحيّا هَتّـانِ
وَرَعى ثَمَّ روضةً طِرْفُ طرْفي … يرتعـي بينهـا ثمارَ التهـاني
وفؤادي بـه استفـاد انجـلاءً … زائـدًا من كدورةَ الأزمـانِ
ورأينـا الأمـانَ من كـلِّ هَمٍّ … فيه ، والوقتُ جادَ لي بالأمـاني
فعـلى ذلك الأوانِ سلامـي … مـا امتلا بالهوى لطيف الأواني

[قبر العدل السلمي الزبداني]

آ وزرنا في قرية الزبداني مزارًا عليه قبّةٌ عظيمةٌ / مُحْكَمة، في بنائها مُستقيمة ، وقد دُفن فيها الشيخ نجيبُ الدين العَدْلُ السُّلمي[1] رحمه الله تعالى .

(١) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٢ / ٩١٣ وقال : وإليها – أي الزبداني – يُنسب العدلُ الزبداني الذي كان يترسّل بين صلاح الدين يوسف بن أيوب والفرنج . »

اليومُ الثالث

[جامع الدلّة]

ثم لما أصبحنا في اليوم الثالث ، وهو يوم الخميس ، ركبنا وركب معنا الشيخُ مصطفى المذكور وولده ، وجماعةٌ كثيرون كأنهم الخميس ، الى أن وصلنا الى جامع الدِلّة ، بكسر الدال المهملة وتشديد اللام مفتوحة . وهو في رأس جبلٍ عالي ، وعنده قرية لطيفة تُشيرُ الى البناء السابق في الأيّام الخوالي . فحين أقبلنا عليها وإذا برجل من أهلها مُتردّدًا اليها ، وعليه سيماء الصالحين ، فاستبْشَرْنا برؤيته ، وقلنا إنّنا إنْ شاء الله في هذه الزيارة من المقبولين .

[مغارة يحيى وجثته]

ثم دخلنا الى داخل ذلك الجامع المبارك ، بمعونة الله عزّ وجلّ وتبارك ، وإذا في داخل الجامع مغارةٌ يُقالُ إنّ فيها جثّة يحيى نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم . فنكون في زيارتها قد زرنا يحيى على التمام ، وتمَّ لنا الأجرُ من الله تعالى على ذلك وكمُل الإنعام . وقيل إنّ تلك المغارة موصولة بمغارة الأربعين التي في جبل قاسيون ، وعليها جلالة ومهابة / على أبلغ ما يكون. فصلّينا هناك تحية المسجد بالهيبة والسكون ، ودعوْنا الله تعالى بأنواع الدعاء لجميع إخواننا أنّ ما صَعُب عليهم يهون . ب

ثم نزلنا الى أسفل ذلك الوادي ، وحدا بنا الى تلك النشأة حادي ، وجلسنا على حافة تلك العين اللطيفة ، وشربنا من ذلك الماء الذي يكاد يُلَطِّف النفوسَ الكثيفة .

ثم نزل الينا ذلك الرجلُ المتقدّم فإذا هو خادم جامع الدلّه ، بنفسٍ على الكمالات مُستدِلّه ، واسمه الشيخ أحمد ، وسيرتُه أفضلُ ما يكونُ وأحمد ، وهو رجلٌ من الصالحين ، معه عهد الخلوتية أهل المعرفة واليقين . فجلس عندنا يُجري جداولَ الفوايد ، ويُديرُ رحى الوقائع والزوايد ، حتى إنه أخبرنا بوجود ولدٍ خلقه

الله تعالى من غير أبٍ ، وأمُّه بكرٌ عذراء ، في قصّة طويلة مستغربة الابتداء والانتهاء . فكان ذلك نظير ما وقع لمريم في قصّة عيسى عليهما السلام ، والله تعالى على كلّ شيءٍ قدير ، وهو الملك العلّام .

آ ثم إنه ذكر كلامًا كثيرًا في أنّ / الولايةَ مع الجهل غيرُ نافعة ، ومرتبةَ التقوى والصلاح إذا لم تقترن بالعلوم الشرعية لم تكن رافعة ، واستطرد فذكر لنا قصّةً عن رجل من الصالحين ، كان رفيقًا لأبيه ، يعبد الله تعالى في ذلك الوادي المبارك حينًا بعد حين . وكان من علوّ همّته في صدق الحال أنه يطيرُ من شاهق الى شاهق بين هاتيك الجبال . ولكن عبادته كانت على جهل ، واستقامته كانت عَرَضيّة من غير أصْل ، حتى عرض له ابليس في يومٍ من الأيام ، ليوقعه في مهالك الضلال ومهاوي الآثام . وذلك أنه قام مرّة فتوضّأ في ماء ذلك الوادي ، وصلّى ركعتين لله تعالى بنفسٍ راغبة وقلبٍ الى معارج القُرْب صادي .

ثم إنه لمّا فرغ من صلاته دعا الله تعالى ، فوجد صلاته قد وُضعت في وعاءٍ من العيدان ، يُشبه السلّة التي يوضع فيها الفواكه من جميع الألوان . ثم إنها رُفعتْ الى السماء ، وغابت عنه في ذلك الحين . وسمع النداء من جهة العلوّ على التحقيق منه ، والتعيين ، بأنه ربُّ العالمين / . يقولُ له : يا عبدي ! قد قبلتُ منك هاتين الركعتين ، وأسقطتُ عنك جميع الصلوات في عمرك كله ، فأفْرِحْ به قلبَك وأقْرِرْ ٱلعيْن . فاطمأنّت نفسه الى ذلك القول المسموع وانشرح صدره به وخشعت جوارحه وسالت الدموع . فذكر هذه الواقعة لرفيقه وصديقه والدِ الشيخ أحمد المذكور ، حيث كان يسايره في سيرته وطريقه . ففال له والدُ الشيخ أحمد : هذا هو الشيطان ، تلبّس عليك لأنه ابليس ليوقعك في مهالك الطغيان . فإيّاك إيّاك أن تعتقد صدق ما قال من الكلام ، فإنّ القول بإسقاط العمل مع وجود شروط التكليف كفرٌ وأثام . وأيضًا فإنّ كلام الله تعالى بلا حرف ولا صَوْت ، وليس له انقضاء ولا فَوْت . فصمّم على ما كان يعتقده من قبل ذلك ، ولم يقبل النصيحة لكمال جهله بما هُنالك ، وجزم بما كان له مُعتقِدًا . (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهوَ المُهْتَدِ ومن يُضْلِلْ فَلَنْ تَجدَ له وَليًّا مُرشِدًا) [٢] .

---

(١) من هنا الى قوله : عصيرًا . ساقط من ظ ١ وحدها

(٢) سورة الكهف ١٨ ، الآية ١٧

آ ثـم إنّه بعد مدّة أدركه الأجلُ المحتوم ، وهـو على ذلك الحـال / المعلـوم ، فقام رفيقه والد الشيخ أحمد المذكور فسعى في تجهيزه وتكفينه ، ودفنه بين هاتيك القبور . وحَضَرَتْهُ جماعةٌ من المسلمين ، للتبرّك به على ما هو معروف عندهم من صلاحه والدين . فأراد الشيخ أحمد أن يُظهر ما عنده من الكلام في حقّ ذلك الرجل ، فألزمه والده بالسكوت والاكتتام . وقال له : استر أخاك ، ولا تفضح الرجل بعد موته بين الرجال ، فإنّ ربه أولى به من أمثاله ، وهو أعلم به وبحاله . قال الشيخ أحمد : فامتنعتُ أنا من الصلاة عليه ومن حضوره ، لعلمي بحاله الذي كان عليه في وروده وصدوره . ثم ذكرنا له فيما يُضارع ذلك من قصّة الشيخ عبد القادر الكيلاني ، قدّس الله تعالى سرّه الصمداني ، ونوّر ضريحه المشتمل على ذلك الهيكل الربّاني ، وذلك أنه كان سائرًا في بعض السياحات ، وقد أدركه العطش وبلغ منه الجهد في الفَلَوات فرأى سلسلةً من الفضّة مُعلّق بها كوز من الذهب وهي مُدلاّةٌ من السماء بأعذب مـاء ، وسمع صوتًا من العلوّ / يقـولُ ب له : يا عبد القادر قد أبَحْنا لك ما حرّمنا عليك . فأدركتْه عنايةُ الله تعالى برعاية العلم الشرعي وقال : ليس ذلك اليك . وصرخ بلعنه وتقبيحه ، ولم يَخْفَ عليه تلبيسُه ومَكْرُه . وعرف باطلَ القول من صحيحه . وكان ذلك ببركة العلم الحافظ للولاية ، ومعونة الله تعالى له في البداية والنهاية . وكيف وهو القائل ، قدّس الله روحه ، ونوّر مرقده وضريحه :

كلامي عُقار عُتِّقَتْ ثم رُوِّقَتْ   وبعضُ كلام العـارفين عصيرُ[1]
إذا ظهرتْ يومًا بُزاةُ خواطـري   فما لعصافير الطريـقِ صَفيرُ

ثم إننا صلّينا الظهر بالجماعة في ذلك الوادي ، تحت جامع الدلّه ، على العين المشروعة للصادر والصادي .

ثم ركبنا وذهبنا الى جهة قرية سِرْغاية ، وفينا فرسانٌ كثيرون من أهل الشهامة والحماية ، رفقة ولد الشيخ مصطفى المذكور ، واسمه الشيخ ظاهر ، له الكمال الباهر والأصل الطاهر .

---

(١) الى هنا ينتهي النقص في : ظ ١

ومررنا في الطريق على عينٍ من الماء صافية ، يجلب الشربُ منها للعليل أنواعَ العافية . وهناك قريةٌ خراب اسمها عين حُوْر ، بضمّ الحاء المهملة وسكون الواو وآخره راء .

[قرية سرغاية]

آ ١ ثم / لم نزل سائرين ، ونحن في لطائف المسرّة وتُحَف الانسجام واللين ، حتى دخلنا قرية سِرْغاية المباركة ، وتلقّتنا جماعاتٌ من أهلها مُتداركة ، وأظهروا لنا غاية الإكرام والترحيب . فنزلنا في مكان عالٍ عن العذولِ والرقيب ، وقلنا في ذلك :

قد أتَيْنا لقريــةٍ ذاتِ حسنٍ ماؤها والهوى اليــه النهــاية
هــي سِرْغايـــةٌ وذلك يعنــي سِرْ اليهـــا فتلك للحسن غاية

فبتنا ليلة الجمعة في تلك القرية ، الى أن زال عن صدق الصباح من ظلام الليل المرية .

وقد وجدنا في قرية الزبداني رجلًا من أرباب السياحة ، فكنّا نستعذبُ انبساطه معنا وانطراحه . وكان رجلًا من فقراء الأروام ، عليه سيماء الصلاح وفيه شَنْشَنَة الكرام . فسار معنا الى أن بلغ هذه القرية المذكورة ، وله همّة في المسير ، كأنما تدعو اليه الضرورة . فأخبرنا أنه مرض مدة في مغارة الأربعين في جبل قاسيون حتى ب ظهرت له في رؤيا منامية رآها جماعةٌ عُراةٌ صالحون . فنزعوا عنه ثيابه التي/ كان يلبسها ، وأمروه بمفارقةِ تلك الرفقة التي كانت تؤنسه ويؤنسها . وأن يخرج في الحال ، ويقصد الترحال . وتكرّرت له هذه الرؤيا ثلاث مرّات ، فكانت دليلًا على اجتماعه معنا في أحسن الحالات .

وقد أخبرنا أنّ له عشرين سنة في السياحة ، وقد استحسن في الأرض تردّده وذهابه ورواحه . وأخبرنا أنه وجد الثلج ينزل من السماء على ثلاثة ألوان ، في أقطار متفرّقة بقُدْرة الرحيم المنّان ، ثلج أسود ، وثلج أصفر ، وثلج أبيض ، وذلك من أعاجيب القدرة ، وباهر الحكمة المؤذنة بالندرة . وقد فارقنا هذا الرجل في هذه القرية .

---

(١) انظر وصفي زكريا ، الريف السوري ٢ – ٣١١ ؛ Dussaud, *Topographie*, 397.

اليومُ الرَّابع

[روضة النبي شيت]

ثم سرنا منها على بركة الله تعالى من غير مرية ، وكان ذلك اليوم هو اليوم الرابع ، وهو يوم الجمعة ، فنزلنا في الطريق بروضة النبي شيت عليه السلام ، وهي روضة غنّاء ذات أنهار وأشجار ، فتفيّأنا ساحة الكرام ، ونزلنا للاستراحة والتبرّك بهاتيك البركات العظام .

[قرية نبي الله شيت] .

آ ثم ركبنا وسرنا بين مياه ورياض / وأزهار وغياض ، وجبال وصخور ، وحصًى كأنها قلايد النحور الى أن وصلنا الى قرية نبيّ الله شيت[1] عليه السلام . وكان ذلك قُبيل الظهر وليس في تلك القرية منبر ولا خطيب ولا إمام . فخالفْنا أهلها وصلّينا الصلواتِ بالجماعة على وجه الإجلال والإعظام . ورأينا فيها مسجدًا فيه محراب اشتقّوا له من اسمه فحاربوه ، وقد سمعناهم يسمّونه التكيّة . وفيه قنديلٌ معلّقٌ منه في الجهة الشرقية ، على خلاف المعتاد في القضية ، إلا أنا وجدنا فيها شيخًا من أهلها عنده احتفال بمن يَرِدُ عليه وإكرام ، وقد تقيّد بنا وانطلق معنا فيما توجهنا اليه من المرام .

[قبر شيت]

وقد زرنا قبر نبي الله شيت عليه أبلغ التحية والإنعام . فرأيناه قبرًا عظيمًا عليه مَهابةٌ وجلالة واحتشام ، ومقدار ذلك القبر نحو الأربعين ذراعًا ، وعرضه يبلغ باعًا

(١) تقع اليوم في محافظة البقاع – قضاء بعلبك . ترتفع عن البحر ١٠٠٠ متر . تبعد عن بيروت ٨٦ ك م . انظر : مرهج ، إعرف لبنان . وفريحة ، اسماء المدن والقرى اللبنانية ، ص ٣٥٢ ؛
Dussaud, *Topographie*, pp. 407, 710.

وباعًا . فوقفنا عنده ودعوْنا الله تعالى بأنواع الدعاء ، وصلينا هناك ما تيسّر لنا وامتلأ بالأجور منا الوعاء . /

وقد ذكر الشيخ الامام عليّ بن أبي بكر الهروي رحمه الله تعالى في كتابه « الزيارات » بعد ذكر الكرك التي هي من أعمال بعلبك ، التي بها قبر نوح عليه السلام قال [1] : وقبرُ شيت بن نوح . وقيل قبر شيت بجبل أبي قُبَيْس . والصحيح أنّ الذي بجبل أبي قبيس هو شيت بن آدم ، والله أعلم .

ثم ذكر في زيارات الحجاز جبل أبي قبيس قال [2] : وقيل قبر شيت في غار أبي قبيس ، والله أعلم .

وذكر في أول كتابه المذكور قال [3] : وأنا أستعيذُ بالله من شرّ حاسدٍ ، ونكدٍ مُعاند ، يقف على ذكر بعض الصحابة والتابعين ، وآل الرسول – صلوات الله عليهم أجمعين – وعلى ذكر بعض الآثار فيقول : قرأنا في التاريخ الفُلاني ضدّ ذلك ، وذكر فلان غير هذا . وأنا فما أشك في قوله ، ولا أطعن في حديثه ، إلّا أنني ذكرتُ ما شاع خبرُه ، وذاع ذكره بطريق الاستفاضة ، والله أعلم بصحته . وقد ذكر بعض أصحاب التواريخ جماعة من آل الرسول عليهم السلام ومن الصحابة والتابعين رضي الله عنهمَ قُتلوا أو ماتوا ببلاد الشام والعراق / وخراسان والمغرب واليمن وجزائر البحر ، ولم أر في أكثر هذه الأماكن ما ذكروه ، ولا شك أن قبورهم اندرست وآثارهم طمست . وذهبت آثارها وبقيت أخبارها ، والزائر له صدقُ نيّته وصحة عقيدته .

وقد ذكروا أيضًا بلادًا وأماكن وطرقات لا تُعرف الآن لتقادُم العهد وتغيّر الزمان . انتهى كلامه .

فلا شك أن قبور الأنبياء عليهم السلام من هذا القبيل ، بل بالأولى والأحرى لتقدّمهم على من ذُكر بكثير لا بقليل . فلا قَطْعَ بتعيين قبر نبيّ أصلًا ، إلّا قبر نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلم ، فإنه مدفون بالمدينة المنوّرة على طريق التواتر والعلم

(١) انظر : الهروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات ، ص ١٠
(٢) المصدر السابق ، ص ٨٨
(٣) المصدر السابق ، ص ٢

الذي لا شك فيه استفاضة ونقلًا . فالزائر لقبر نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام مُحصّل للبركة بالاستكمال على حسب صدق نيّته في الزيارة ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وهناك [1] عند رأس قبر النبيّ شيت عليه السلام قبة عجيبة على أربعة أركان ، مبلّط أرضها بالأحجار . وهي متقنة غاية الاتقان . وفي وسطها صهريج محكم من الأحجار غاية الإحكام ، يجتمع اليه الماء من سطح النبي شيت عليه السلام ، وفمه مجعول كالفسقية ، وهو في مكانٍ مرتفع مطلّ على تلك البريّة . وقد نظمنا في مقام شيت عليه السلام هذه الأبيات ، بناءً على أنّه شيت بن آدم عليهما من الله ب تعالى أشرف التحيّات ، وهو الذي تقتضيه لوايح الاشارات / :

عَنّـا لقد زالتِ الشّرورُ ... وكـلُّ أوقاتنـا سرورُ
وكـلُّ حين لنـا سماعٌ ... وكـلُّ آنٍ لنـا حُضورُ
حيثُ نبـيُّ الله شيتٌ ... جئنـا الى حيّـه نزورُ
وعَمَّنـا الله بالعطـايا ... فكـلُّ شيءٍ نـراهُ نـورُ
وأثمرت روضةُ الأمـاني ... لنـا وفاضتْ بهـا الزهورُ
نهـارُنا كلُّـه شموسٌ ... وليلُنـا كلُّـه بُـدورُ
ونحنُ مـن شيتٍ النبيِّ الّـ ... ـذي كمالاتُـه بحـورُ
نغترفُ الفضلَ مـن نـداهُ ... والـدرُّ تـدري بـه النحورُ
عليـه أوفى صلاةِ ربّـي ... ما ابتسمتْ في الجنان حورُ
مـع السلام الـذي شذاهُ ... من غير طيٍّ لـه نشورُ
ما هبَّ ريحُ الصبا وغنّتْ ... على غصونِ الرُّبـا طيورُ

آ وقلنا أيضًا في ذلك /

يـا نبـيَّ الله يا شيتُ ... منك سرُّ الحـق مبثوثُ
صفوةُ الله ابنُ صفوتـه ... فيـه علمُ الله موروثُ
قـد سَعُـدنا في زيارتـه ... وجوادُ العـزْمِ مَحْثـوثُ
وثـوابُ الله زادَ لنـا ... حيث فينـا عـاث برغوثُ
آ وعلينـا اللهُ جـادَ بما ... جـادَ ، والإكرامُ مبعوثُ /

(١) من هنا الى قوله البريّه : مضاف بالهامش في الأصل ، وهو في المتن في النسخ الأخرى .

وكانت ليلتنا بالنبي شِيت عليه السلام ليلة برغوثية ، وذلك الجامع الذي بِتْنا فيه بل تلك التكيّة ، كانت علينا بالحرّ محميّة .

وكان معنا حمارٌ لبعض الأصحاب كثيرُ النهاق ، فوضعه تلك الليلة في داخل ثلاثة بيوت وصوتُه المِرْعاد المِبْراق ، صوتٌ قوي لا يكاد يُطاق . فقلنا في ذلك ، حسب ما هنالك :

لا تسألوا عن قريةٍ بِتْنا بها في ليلةٍ موصولةٍ بنهارِ
ما حالُ مَنْ قَدْ بات بين ثلاثةٍ حرٍّ وبرغوثٍ وصوتِ حمارِ

وقلنا أيضًا في ذلك الحمار ، من لطائف الأشعار : [الخفيف]

لا يطيبُ المبيتُ عند حمارٍ يطردُ النومَ صوتُه بشجونه
لم يزلْ يُكثِر النهيقَ علينا فكأنَّ الشيطانَ نصب عيونه

وكان ذلك الحمار لرجلٍ من أهل دمشق الشام اسمه فتح الله . فأخذه ابنه منه بلا إذنه وجاء معنا على فتحِ الله ، فأشرنا الى ذلك بقولنا : [الخفيف]

قلتُ لما زادَ الحمارُ نهيقًا لَسْتُ عن ذلك النهيق بلاهي
إنّ هذا الحمارَ قد زاد شَوْقًا فاعذُروه ، يريدُ فتحَ اللهِ/ ب

وقال صديقُنا ابراهيم چلبي ابن الراعي ، بلّغه الله أنواع المساعي :

أقلقَ الأسماعَ صوتٌ لحمارٍ قد صَحِبْنا
يا إلهي منك أرجو أنه يُحْجَبُ عنّا

وقلنا نحن أيضًا ، واكتفيْنا بفيضان الآية علينا فيضا :

قد أطَلْنا كلامَنا في حمارٍ زاد منه النُهاقُ في الأوقاتِ
فاعذرونا إذا ذممناهُ ذمًّا واقرأوا إنّ أنكرَ الأصواتِ[١]

وقد عرض علينا بعضُ الرفاق هناك بيتًا مُفردًا لبعض المتقدّمين ، وطلب منا التذييل عليه بما يُناسبُه من المعاني والتضامين ، وهو قوله :

يا بانةَ الجزع لولا رنّةُ الحادي لما تنقّلْتُ من وادٍ الى وادي

(١) إشارة الى الآية القرآنية : ﴿ واغضض من صوتك ، إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير . ﴾ . سورة لقمان ٣١ ، الآية ١٩

وقد كان معناه شرح الحال منا في هذا المسير ، حيث كأنّا على زيارة الصالحين من جبلٍ الى جبلٍ نطير . فجعلناه أوّلًا مواليا ، وقلنا في تذييلنا عليه بيتًا ثانيًا وهو :

وحرمةِ العهدِ إني في الهوى صادي والدمعُ مائي وشوقي لم يزل زادي آ

وذيّلنا عليه ثانيًا بناءً على أنه بيتُ القصيد ، وفريدةُ العقد النضيد ، فقلنا في ذلك التذييل على طريق البديهة ، وهو من ألطف ما قيل :

يا بانةَ الجزْعِ لولا رَنّةُ الحادي	لما تنقّلْتُ من وادٍ الى وادي
فأَرْسِلِي نفحــةً لي معْ نسيم صبًا	يبثُّهـــا بين نادينـــا بترْدَادِ
لله أيّــةُ أخبــارٍ أتَتْ سحرًا	عن بانةِ الجزعِ من تَلْعات أجْيادِ
روتْ حديثًا فأرْوَت مُغرمًا دَنِفًا	فؤآدُه نحو سُكّانِ الحمى صادي
ما أَوْمَض البرقُ إلّا سَحّ مَدْمَعُه	كوابلٍ غَدِقٍ من فيْضه غادي
ولا سَرَتْ نسمةٌ إلّا استفزّ بــه	شوقٌ عليــه إلى ذاك الحمى بادي
هو الذي عبثتْ أيدي الغرامِ به	ولم تُساعدْهُ سُعْــداهُ بـإسعادِ

اليومُ الخامس

[قرية الكرك]

فلما أصبحنا في اليوم الخامس ، وهو يوم السبت المبارك ، ركبنا وركب معنا شيخ قرية النبي شيت ونحن معه في المسير نتشارك . فتوجهنا نحو قرية الكرك لزيارة نبيّ الله نوح عليه السلام . وإذا برجلٍ يركض خلْفنا بجواده مطلق العنان واللجام ، ومعه مكتوبٌ من حضرة الباشا الأجلّ[1] ، والصدرِ الذي مَنْ بالَغَ في كمالاته فقد أخلّ ، وهو مقبلٌ من بعلبك المحروسة يدعونا الى زيارة الشيخ عبد الله اليونيني ، والتملّي بحضرته المأنوسة . فوقفنا / في ذلك الطريق وتوقفنا عن المسير ساعة ، ثم انفرج ذلك الضيق ، وأجْمعنا على إجابة ما دُعينا اليه ، وقرأنا الفاتحة الى نوح صلاة الله وسلامه عليه

ب

وتوجّهنا الى بلدة بعلبك بالخير ، نتسارع في تلك الصحرآء تَسارُعَ الطَّيْر ، وقلنا في هذا الحال ، وتلطفنا في المقال :

سيرُنا كان في الصبا ... حِ والهنا فيه مُشتركْ
نحو نوحٍ جوادُنا ... كان من شيثَ احترَكْ
فأتانا الرسولُ مِنْ ... حافظِ الودّ ما انترَكْ
فرجعنا الى الطريـ ... قِ ، ما انتفينا الى الكرَكْ

الكرَك هنا بالتحريك على ما هو المشهور فيما بين العامة ، وهو كرك نوح عليه السلام .

قال الشيخ الامام ياقوت الحموي في كتابه «المشترك[2]» : الكرك موضعان بفتح الكاف والراء وكاف : قلعة مشهورة حصينة في طَرَف البَلْقاء من أرض الشام من ناحية

---

(١) قوله « الأجلّ ... الى مقبل من » مضاف في الأصل بالهامش .

(٢) انظر : ياقوت ، المشترك وضعًا والمفترق صقعًا ، ص ٣٧١ .

جبل الشَرَاة ، يُنسَبُ اليها أحمد بن طارق [بن سنان بـ]ن محمد بن طارق] القُرَشي ابو الرضا [التاجر][1] من طُلّاب الحديث المكثرين . مات ببغداد في [سادس عشر][1] ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وخمسماية . [ومولده سنة سبع وعشرين وخمسماية][1] والكرك / ايضًا قرية كبيرة من نواحي بعلبكّ ، بها قبرٌ طويلٌ تزعمُ أهلُ تلك الناحية أنه قبر نوح عليه الصلاة والسلام . ا هـ . آ]

ووجدنا في هامش الكتاب المذكور بخط العلّامة الشيخ أحمد المعروف بابن مكتوم النحوي ، وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين وسبعماية ، قال عند ذكر أحمد ابن طارق ما نصّه : ذكرهُ ابن نقطة في باب الكرْك بسكون الراء . وقال : قال[2] لي ابو طاهر اسماعيل بن الأنماطي الحافظ بدمشق : هو منسوبٌ الى قرية في أصل جبل لبنان يُقال لها الكرْك بسكون الراء ، وليس هو من القلعة التي يُقال لها الكَرَك بفتح الراء[3] . قال ابن نقطة : وكان ثقة متقنا لما يكتبه ، خبيث الاعتقاد رافضيًا . وقال ابن النجار في « التاريخ » : أخبرني ابو الحسن ابن القطيعي قال : سألتُ أبا الرضا ابن طارق عن نسبته الى الكرك فقال : بالشام ثلاثة مواضع كلٌ منها يُسمّى الكرك . فأحدُها عند الشوبك بأرض فلسطين ، وموضع عند طبريّة ، وموضع بالبقاع بين بعلبك ودمشق. ونحن من/ هذا الموضع ، وكان جدّي سنان قاضيًا به ، فهاجر الى بغداد وقطن بها . ا. هـ. ب

وقال في القاموس : وكَرَك بالفتح قرية بلحف جبل لبنان ، وبالتحريك قلعة بنواحي البلقاء . ا هـ .

فعلى هذا يكون كرك نوح بفتح الكاف وسكون الراء ، وكرك الشوبك بفتح الكاف وفتح الراء ، كما وقع في عبارة ابن مكتوم عن ابن نقطة ، وهو الذي فيه القلعة بنواحي البلقاء لأنه قابل في القاموس الفتح بالتحريك ، فيختص بفتح الكاف فقط ، والتحريك فتح الكاف وفتح الراء .

(١) الزيادة من المشترك .

(٢) نقل هذا النص ياقوت أيضًا عن الحافظ محمد بن عبد الغني بن نقطة في معجم البلدان ٤ / ٣٦١

(٣) الى هنا انتهى ما نقله ياقوت من خط ابن نقطة . وأضاف : «قلتُ أنا : وكان ابو الرضا تاجرًا مثريًا بخيلًا ضيّق العيش ، ليس له غُلام ولا جارية ولا من ينفق عليه فلسًا . وكان مقترًا على نفسه ... » ٤ / ٣٦١

ثم إنا مررنا في الطريق بأشجار العنب لنبيّ الله شيت عليه السلام ، مما تسمّيه العامة كَرْمًا . وقد ورد في الحديث الشريف النهْي عن تسمية العنب كرْمًا ولهذا عدلنا عنه في الكلام .

[وادي بليتار]

ثم مررنا على وادي بليتار [1] في طريقنا الى بعلبك. وبليتار بفتح الباء الموحدة وكسر اللام قرية من قرى بعلبك .

ثم لم نزل كذلك الى ان وصلنا الى تلك البلاد وارتوت منا بمياهها العذبة حرارة الأكبار .

[قبر عبدالله اليونيني]

آ فابتدأنا في أول وهلة بزيارة الشيخ / عبد الله اليونيني ، رحمه الله تعالى ، وهي نسبة الى يونين [2] ، قرية من قرى بعلبك . وكان أصل الشيخ عبدالله رضي الله عنه ، منها ، كما ذكر في كتاب مناقب الشيخ قدّس الله سرّه، وفي كتاب « الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين » [3] ، كلاهما للشيخ أبي شامة رحمه الله تعالى . سمعنا من أهل تلك البلاد أن القرية اسمها يونين . وأفادنا بعض أهلها أنه رأى في كتب الأوقاف القديمة المؤرخة بالمائة الخامسة والسادسة : اليونيني ، والقرية اسمها الآن حتى في الدفاتر السلطانية يونين . ا ه كلامه .

وقال ياقوت الحموي في كتابه « المشترك [4] » : يونان موضعان بضم الياء وسكون الواو ونونيْن بينهما ألف . يونان موضع بأُرَان بضمّ أوّله وتشديد ثانيه [5] ، منه الى بَرْذَعَة [6] سبعة فراسخ . ويونان : من قرى بعلبك .

---

(١) يسمّى اليوم « بريتال » تصحيفًا وتحريفًا من العامة . وانظر خطأ فريحة في : اسماء المدن .. ص ٣٦ وسمّاه Dussaud « بريتان » ص ٤٠٤

(٢) تقوم اليوم في قضاء بعلبك . ترتفع عن البحر ١١٠٠ م. تبعد عن بيروت ١٠٨ ك م. انظر : مرهج ، اعرف لبنان Dussaud, *Topographie*, p. 412.

(٣) انظر : ابو شامة ، ذيل الروضتين ص ١٢٥

(٤) انظر ياقوت ، المشترك ص ٤٤٣

(٥) قوله « بضمّ أوّله وتشديد ثانيه » ليست في النص المطبوع من المشترك .

(٦) كذا في جميع النسخ المخطوطة . وفي المطبوع من المشترك « تروعة » خطأ .

وقال في القاموس: ويُونان بالضمّ قرية ببعلبك. ا هـ.

فلعلّ القرية يُقالُ لها يونين كما يُقال لها يونان، أو أنّ ذلك من استعمال ب البَعْلَيّين وتحريفاتهم، فإنّ ألسنتهم الى الإمالة أميل، كما[1] أفادنا ذلك بعض أهلها فكان من جملة لطائفه، أو أنّ ذلك من تغيير النسب، فإن اللحن المشهور في ذلك خيرٌ من الصواب الغير مشهور، لأنّ المقصود من النسبة التعريف، وهو حاصلٌ باللحن. فالصواب إعجام في الكلام، وعلى مقتضى المشهور من ذلك سلكنا في قولنا أحسن المسالك حيث قلنا:

سَعُـدَتْ بعلبكُّ بـاليونيني ... أي بعبد الله الوليِّ الأمينِ
صاحب الفضلِ والهدى والمزايا ... والكرامات والتُقـى والدينِ
قبرُه مُشْرِفٌ على بَعْلَبَكٍّ ... وهو ربُّ الحمى كليث العرينِ
جَبَلٌ منه قد حوى جبـلًا ... من شَرَفٍ واستقامـةٍ ويقينِ
قد أتيناه للتبرّكِ نرجـو ... أن يكون الإلهُ خيرَ مُعينِ
لي وللزائرين مثـلي ويُعْ ... طينا الذي نرتجيه بالتعيينِ
ودعوناه ثَـمَّ وهـو كريمٌ ... يستجيبُ الدعـاء للمسكينِ
أن يُنيل الإخوانَ طُرًّا مُناهم ... وعليهم يجـودُ بالتحصينِ
وبحفظٍ من كل سوءٍ وشرٍّ ... وبـلاءٍ وفتنـةٍ وأنينِ
وبمن حولَ قبره من قبورٍ ... تَتَسامى شوامخَ العِرْنينِ
آ وبنورٍ هناك يُشْهَدُ منـه ... يَتَسلّى بـه فؤادُ الحزين /
وبسرٍّ مَـلأ الجوانب فاشٍ ... ليس يخفى على الورى مُسْتبينِ
جُدْ علينا يا ربّنا بانصلاحِ ... أهلِ كلِّ البلاد في كلّ حينِ
وزوال الفَساد والقَحْط طُرًّا ... والتوقّي من كلّ أمرٍ مهيـنِ
أمـدَ الدهر ما سرى من نسيمٍ ... وتغنّـى الحمـام بالتلحيـنِ

وفي كتاب مناقب الشيخ عبد الله اليونيني رحمه الله تعالى أنّ عمره قد جاوز ثلاثة (كذا) وثمانين سنة. وتوفي يوم السبت في عشر ذي الحجة سنة سبع عشرة

(١) قوله: «كما أفادنا .. الى لطائفه»، مضاف في الأصل بالهامش.

وستماية . وكانت وفاته غريبة ، وذلك[١] أنه نزل يوم الجمعة يصلّي بجامع بعلبك وهو صحيح البدن ، ليس به ألم . وكان دخل الحمام قبل الصلاة ، ثم أتى الجامع فرأى دَاود المؤذّن ، وكان يغسل الموتى . فقال له : ويحك يا داود ، انظر كيف تكونُ غداً . فلم يفهم الاشارة . وقال : يا سيدي ، كلّنا غداً في خفارتك . ثم صعد الشيخ الى الزاوية ، وكان صائماً ، وقد أمر الفقراء أن يقطعوا صخرة عند اللوزة التي كان ينام تحتها ويجلس عندها ، وكان بقي منها قدر نصف ذراع . فقال لهم : لا تطلع الشمسُ غداً إلّا وقد فرغتم منها . وبات طول ليلته يدعو لأصحابه حتى طلع الفجر ، فصلّى الصبح بجماعته ، وجلس على / صخرة كان يجلس عليها ، واستقبل القبلة قاعداً ، وبيده سبحتُه . وقام الفقرآء يتمّمون قطع تلك الصخرة ، حتى فرغوا وقد طلعت الشمس ، وهم يظنّونه نائماً ، والسبحةُ في يده على حالها ثم حضر اليه خادم من القلعة فظنّه نائماً ، ثمّ حرّكه فوجده ميتاً ، رضي الله عنه . فارتفع الصياحُ والصراخ حتى حضر الملكُ الأمجدُ . فأراد أن يبني عليه بُنياناً وهو على حاله ذلك فقالوا له : اتّباع السُنّة أولى . ثم جهّزوه وغسّله داود المذكور الذي قال له الشيخُ : يا داود ، انظر كيف تكون غدا . ودُفن عند الصخرة التي قطعها الفقرآء تحت اللوزة . رحمه الله تعالى . ثم دُفن حوله من الأبدال والأولياء خَلْقٌ كثير . انتهى ما نقلناه من « كتاب المناقب » ملخّصاً .

[بعلبك]

ثم إننا توجّهنا الى الدخول في بلدة بعلبك[٢] المعمورة ، لأجل تتميم الزيارة لمزاراتها المشهورة . فخرج الى لقائنا صدر الصدور ، ومَفْخَرَة باب الورود والصدور ، حافظُ تلك البلاد ، حضرة محمد الباشا حفظه الله تعالى ، بجماعته وخدمه ، وعسكره وحَشَمه . واجتمعنا به في خارج البلاد على أحسن حاله . ثم رجع معنا فدخلنا / من الباب بأكبر هيبة وجلالة .

(١) انظر هذه القصة بتفصيل أكثر في ذيل الروضتين لأبي شامة ص ١٢٧

(٢) انظر ياقوت ، معجم البلدان ١ / ٦٧٣ . وتقع اليوم في محافظة البقاع ، قضاء بعلبك . ترتفع عن البحر ١٢٠٠ م . تبعد عن بيروت ٨٧ ك م. انظر : مرهج ، اعرف لبنان . وفريحة ، اسماء المدن والقرى ، ص ٥٢ ؛ Dussaud, *Topographie*, p. 403

[مزار عبد الرزاق الكيلاني]

وقرأنا الفاتحة بالقرب من باب المدينة من جهة الخارج ، لروح الشيخ عبد الرزّاق ابن الشيخ العارف الربّاني ، عبد القادر الكيلاني ، قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه . فإن مزاره هُناك ، وله الى ذلك الطريق بابٌ وشُبّاك .

[دار الإمارة ببعلبك]

ثم ذهبنا معه الى دار الأمارة ، فتلقّانا بالاجلال والإكرام ، وذلك على كمال محبته لنا امارة . ونزلنا في بيت بعض الأصدقاء والأحباب . وكنّا نجتمع به في غالب الأوقات ، على نهاية الانبساط والاقتراب ، مع المُنادمة والمُسامرة ، من النهار وإلى ما بعد العشاء الآخرة .

[رأس العين]

ثم أمر بإخراج الخيمة العظيمة ، ذات النقوش المختلفة ، لأجل الاجتماع والمؤآنسة ، وانشراح النفوس المؤتلفة ، فضُربتْ تلك الخيمةَ لنا في ذلك المرج الأخضر ، والروض الأزهى الأزهر ، عند المكان المسمّى برأس العين . فانشرح الصدر وقرّت العين . وترقْرَقَت هاتيك المياه اللطيفة ، وانسابت في ذلك الجدول وهي بنا مُطيفة ، فقلنا في ذلك ، وأشرنا الى ما هنالك : /

سقى[١] اللهُ وادي بَعْلَبَكّ فإنّه ... حوى سيّدًا عنها به زال غَيْنُها

اذا افتخرتْ يومًا به عينُ رأسها ... له انفجرتْ يوم الندى رأس عينها

وقلت كذلك :

بعلبكّ التي بطيب هواها ... مَسَحَتْ عن قلوبنا كلَّ رَيْنِ

قلتُ يا بعلبكُّ هل في البرايا ... منكِ أزهى في حُسنِ كيفٍ وأيْنِ

زادها الماءُ رِقّةً فتسامَتْ ... ثم أوْمَتْ لنا براس العينِ

وقلت كذلك :

فَخَرَتْ بَعْلَبَكُّ في رأسِ عينٍ ... ثم قالت تَزهو بحسنٍ وزَيْنِ

كم رؤوسٍ وكم عيونٍ ولكن ... ليس في الناس مثلُ رأسي وعيني

---

(١) هاذان البيتان لا يوجدان في الأصل ب ، لكنهما موجودان في جميع النسخ الأخرى . وفي ل « اذا افتخر يومًا به راس عينها » ولا يستقيم الوزن .

وقد أنشدنا صديقنا الكاملُ الفاضل ، حاوي العلوم والفضائل ، الشيخ عبد الرحمن التاجي الخطيب ببعلبَكّ المحروسة ، وأخبرنا أن ذلك من [١] حفظه من غير أن يعرف القائل لذلك من الأوائل :

برأسِ العيْن قرَّ العينَ وأنزلْ ... فرأسُ العيْن قرّةُ كلِّ عيْنِ
تقولُ لمن يُناظِرُها افتخارًا ... أنا الفردَوْسُ بين الجنّتيْنِ

وقال : يريد بين الربوة واللبوة . فالربوة في دمشق الشام معروفة ، واللبوة قريةٌ من قرى بعلبكّ معروفة ، بأنواع المحاسنِ موصوفة .

وأنشدنا ايضًا ، وكتب لنا به وبما قبله وبما بعده ، وذلك لفتح الدين بن الشهيد ، حلّى اللهُ في الأفواه شَهْدَه ، وهو قوله مضمّنًا / للمثل المشهور، بين الجمهور : آ

ولقد مررتُ ببعلَبكّ فشاقني ... عينٌ بها ماءُ النعيم مُقَسَّمُ
فلأهلها من أجلِها أنا مُكرمٌ ... ولأجلِ عَيْنٍ ألفُ عَيْنٍ تُكرَمُ

وأخبرنا أيضًا أن أخاه شقيقه العلاّمة عبدالحيّ افندي سلّمه الله تعالى، لمّا توجّه الى الديار الروميّة في أثناء سنة تسعٍ وخمسين وألف، أرسل له مكتوبًا يتضمّن وصف الأشواق والأوصاب، والحنين الى الوطن وتذكار الأحباب. جاء منه قوله :

«وتذكّر العبدُ تلكَ المعاهد والأطلال»، فأنشد في الحال، على سبيل الارتجال :

برأسي وعيني رأسُ عينٍ ومَن فيها ... وبيضُ سَواقٍ حولَ زُرْقٍ سواقيها
إذا راق لي منها جواري عيونها ... أراق دمي فيها عيونُ جواريها

هذان البيتان من النظام في غاية الرقة والانسجام. [وهما [٢] لأبي المحاسن الشوّا ، في مدح بلدة رأس العين. وقد تمثّل بهما قاضي القُضاة برهان الدين ابراهيم الرّسْعَني الشافعي ، كما ذكره ابن خطيب الناصرية في كتاه «المنتقى من تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه». وقال ابن السمعاني في «الأنساب» [٣] : الرَسْعَني بفتح الراء المهملة

(١) في النسخ « في » .
(٢) قوله : وهما لأبي المحاسن ... حتى قوله : والنسبة اليها رسعني . مضاف في الهامش في جميع النسخ .
(٣) انظر الأنساب ٦ – ١٢٢

وسكون السين المهملة [وفتح العين المهملة][1] وكسر النون. هذه النسبة الى بلدة من ديار بكر يُقال لها راس العين، وما دجلة منها يخرج، والنسبة اليها رسعني. انتهى].

وللشيخ علاء الدين الوادعي [2] من جملة قصيدة:

يا حاديَ الأظْعانِ إنْ شارفْتَ من بَعْلَبَكّ سفحَ لُبْنانِهْ
فاْقرأْ تحيّاتي على ساكنٍ في محجرِ العين كإنسانهْ

وهو تشبيه بديع، أُفرغ في قالب رفيع، يعرفُه مَنْ شاهد ذلك الحجر الأسود الكاين في وسط البركة التي هي / رأسُ العين، وتأمل ذلك بالقلب والعيْن.

وأنشدنا أيضًا قال: أنشدنا العلّامةُ الفاضل الشيخ زين الدين البصروي حين قدم إلى بعلبك زايرًا، وذهب معه الى رأس العين سايرا:

تقولُ بعلبكُّ ٱلفيحاءُ لمّا أتيتُ لدَوْحِها من بعدِ بَيْنِ
اذا افتخرتْ دمشقُ الشام يومًا بمرْجَتِها أتيتُ لها بِعَيْني

ولفظ بعلبك في هذين البيتيْن بفتح الباء وفتح العيْن وسكون اللام وفتح الباء الثانية. وهي لغة عاميّة. واللغة الصحيحة بعْلَبَكّ بفتح الباء وسكون الباء وفتح اللام والباء الثانية. وقد[3] سألناه عن هذين البيتيْن فقال: قد نسيتُ أني أنشدتُهما له. فقلنا له: ارْوِ ذلك عنا عنه عنك، كما هي الطريقة في اصطلاح المحدّثين.

وقد قلنا في المعنى المذكور:

سقى الرحمنُ مرجةَ بَعْلَبكٍّ لقد قالت مقالةَ غيْرِ مَيْنِ
اذا افتخرتْ بمرجتها دمشقٌ عليها قد فَخَرْتُ برأسِ عَيْنِ

وقد وجدنا في بعض المجاميع للأمير حسن الخالدي رحمه الله قوله:

مثل أرْمٍ وجلّقْ في الأرض ليس يُخلَقْ
لا كرأسِ عَيْنٍ والمسجدِ المعلّقْ

(١) الزيادة من الأنساب المطبوع.
(٢) في الأصل ب «الوداعي» وكذا في جميع النسخ.
(٣- قوله «وقد سألناه ... الى اصطلاح المحدّثين» مضاف في هامش الأصل.

أزْم بالسكون لضرورة الشعر والموازنة ، وجِلّق بكسر الجيم وفتح اللام المشدّدة ،
آ والقافية ساكنة . ومراده بالمسجد / المعلّق الذي يدور الماء حواليْه .

ومن نظمه أيضًا رحمه الله مما يشيرُ به اليه :

لكعبةِ رأس العين حِجّوا تُشاهدوا مقامًا به أهلُ الصفاءِ صُفوفُ
بمرجتهـــا لله بيتٌ معلّـــقٌ حواليه يسعى ماؤهـــا ويطوفُ

وجلسنا بالقرب من تلك العيْن التي يفترقُ ماؤها فرقتيْن ، ثم يجري بالزلال البارد ، للصادر والوارد . وعند تلك العيْن في ذلك المسجد المعلّق المذكور ، وهو الآن مكان خرابٌ يدور به الماء من جميع جوانبه بكرةً وعشيّة . ويُقال إنه كان فيما مضى من الزمان تكية للمولوية ، وبالقرب منه أيضًا جامعٌ خرابٌ له منارة ، وهو متّسع الجوانب ، وفيه منبر متهدّم ومحراب .

اليوم السادس

[زيارة قبر اليونيني]

ثم خرجنا في اليوم السادس وهو يوم الأحد الى زيارة الشيخ عبدالله اليونيني ايضاً ، نفعنا الله تعالى ببركاته ، مع حضرة الباشا سلّمه الله تعالى وباقي جماعاته ، وانشرحت صدورُنا في تلك الحضرة المأنوسة ، وتَشَعْشَعَتْ أسرارُنا في هاتيك المقامات المحروسة . ودعونا الله تعالى في هاتيك المقاصد المهام ، وتحقيق المُراد والمرام / ، لجميع مَنْ كان معنا من الخاصّ والعام ، وابتَهَلْنا في ذلك المكان المبارك ، وتوسّلْنا الى الله تعالى وتبارك ، أن ينصر عساكر الاسلام ، ويُيَسِّر أمورَ المسلمين ، ويفتح الفتح المُبين ، ويمنّ بالإنعام التام ، ويُصلح أحوال إخواننا بمقتضى الإعزاز والإكرام .

[قلعة بعلبك]

وقد قصدنا التفرّج على قلعة بعلبكّ[1] العجيبة ، التي تُذكّرنا بأبراجها السماءَ ذات البروج ، من حسن تلك الأبنية الفريدة . فذهبنا مع حضرة الباشا ، حفظه الله تعالى ، حتى صعدنا الى ذلك البناء الهايل ، الذي هو أثرٌ من آثار الأوائل . وقد ذكر الهروي في زياراته أن ببعْلَبكّ الوادي والصخر الهايل . وقيل فيه أنزل (وثمودَ الذين جابُوا الصخرَ بالواد)[2] ، والصحيح أن الوادي هو وادي القُرى ، وقوم ثمود كانوا به . انتهى . وأهلُ[3] بعلبك الآن يسمّون بالواد – بالسكون – موضع ذلك الحجر الكبير المسمّى بحجر الحِبْلِة ، الآتي ذكره . ويزعمون بأن ذلك

(١) انظر الزيارات ص ١٠

(٢) الآية ٩ من سورة الفجر ٨٩

(٣) قوله « واهل بعلبك .. الى اي قطعوا الصخر بالواد مضاف في هامش الهامش وبعده : صح .

المكان كان مَقْطَعًا لتلك الأحجار الكبيرة التي بُنيتْ منها تلك القلعة . فإن في الآية (جابوا الصخْر) أي قطعوا الصخر (بالواو) .

وقال[١] أيضًا : وقلعةُ بعلبكّ من عجائب الدنيا ، وليس في بلاد الاسلام ما يشاكلها إلّا أبنية خراب بناحية اصطخر من بلاد فارس . ويزعم أهل فارس أنّ الضحاك هو سليمان بن داود عليهما السلام . وهذه الأبنية عمرتها الجن له ، والله أعلم . انتهى كلامه .

آ وبلغنا أنّ الجنّ عمرت لسليمان / عليه السلام بيت المقدس ، وبلدة بعلبك مع قلعتها . وهذا أمرٌ ظاهر يشهد له الحسُّ . فإنّ هذه العمارات العظيمة لا تقدر على عملها الأنس .

ورأينا الذي يُصَدِّقُ ذلك قوله تعالى ﴿ولِسُليمَنَ الريح غُدُوُّها شَهْرٌ ورَوَاحُهـا شَهْرٌ ، وأَسَلْنَا له عَيْنَ القَطْرِ ، ومِن الجنّ مَنْ يَعْمَلُ بين يَدَيْه بإذن رَبِّه . ومن يَزِغْ منهم عن أمْرِنا نُذِقْهُ من عَذَابِ السّعير . يَعْملونَ له ما يشآءُ من مَحاريبَ وتَماثيلَ وجِفانٍ كالجواب وقُدورٍ راسيات﴾[٢]

والجِفانُ جمع جَفْنَةً ، وهي القَصْعةُ . والجوابي جمع جابية ، والجابيةُ الحوضُ الكبير . فإنّا رأينا تلك الأبنية الهائلة في قلعة بعلبك ، وتلك المحاريبَ المزخرفة ، والتماثيلَ المختلفة ، والأعمدةَ العِظام ، والصخورَ الجِسام ، فقلنا إنّ هذه الآية ربّما أشارتْ الى هذه الأبنية التي تتحيّرُ فيها الأفهام ، وتشخص اليها عيونُ الأنام .

وأمّا ما اشتَمَلَتْ عليه هذه القلعةُ أنّ عند بابها نهرًا يجري ، وفيه تُدْبَغ الجلود . وعلى باب القلعة صخرةٌ كبيرة هائلة قطعةٌ من جلمود . وداخل الباب على جهـة

ب المَيْسرة برجٌ / عظيم ، ودهليز طوله نحو مائتيْ ذراع معمـول بالقبـو المتيـن الجسيم . وفيه دهليزٌ آخر على الميمنة نحو مائتي ذراع . وداخله دهليزٌ آخر قـدر الأوّل بلا نِزاع .

وبجانب الباب الثاني الذي للقلعة برجٌ كبيرٌ على المَيْسَرة يحتاجُ الداخلُ اليه الى إيقادِ الشمعة . وهناك دهليزٌ طويل ، وخارج الدهليز ساحةُ القلعة التي ما لها

(١) الزيارات ص ١٠

(٢) الآيات ١٢ – ١٣ من سورة سبأ ٣٤

من مثيل . ويدور بتلك الساحة قناطرُ ومحاريب ، فيها تصاوير وتماثيل ، وداخل القلعة الى جهة الشمال ، برجٌ لا سقْفَ له وليس له على شيءٍ اشتمال . غير أنّ فيه بابًا صغيرًا بِدَرَجٍ يُنْزَلُ منه الى نهرٍ هناك . وخارج القلعة من جهة الشمال قنطرةٌ كبيرة من حجر فيه اشتباك ، يجري منها الماء قديمًا. الى القلعة ، ذات التحصّن والمنعة .

وفي داخل القلعة تسعةُ عواميد ، طولُ كلّ واحد نحو الثلاثين ذراعًا وأكثر ، والله أعلم ، مصفوفة في الهواء ، قريبٌ ما بينها ، بمنزله الأصابع ، فوق ذلك القبو المحكم ، وثخانةُ كلِّ عمود منها ثلاثون شبرًا فرضًا ، وكلّ عمود له قاعدة تحته آ من الحجر المنحوت قدر / خمسة أذرع طولًا وخمسة عرضًا . ومن فوق هذه الأعمدة عمارةٌ عجيبة ، محكمة البناء غريبة ، طُولُ كل حجر منها خمسة أذرُع في عرض خمسه ، فكأنّ الباني أراد بها البقاء ولم يذكر يومه وأمسه . ومن جهة الشرق فوق الخندق أربعة عشر عمودًا ، مثل التي ذكرناها قواعدًا وقدودا. وفوق تلك الاعمدة عمارة عظيمة ، وسقفٌ من الحجر المنحوت كالطوان العجمي ، ولكنّها أبنية قديمة . وفي وسط القلعة أيضًا اربعة عشر عمودًا كالأعمدة المذكورة، ولها قواعدُ من الحجارة المنحوتة في مقدار تلك القواعد المزبورة . وحول تلك العواميد فوق القواعد قِطع من النحاس كبار بمنزلة السواعد ، عمل على قلعها بعض الناس ، فكسروا أطرافَ العواميد من الأسفل وأخذوها على وجه الاختلاس . وفوق تلك العواميد في الهواء عمارة عظيمة بأحجار كبار كالقواعد التي في الأسفل بل أعظم منها ، مهندسة على هيئة مستقيمة . وأخبرني جماعة أن مرّة صعد رجلٌ فوق ب تلك العمارة التي فوق العواميد ، فوجد هناك شاقوفًا بلغ وزنه ثمانون / رطلًا برطل بلاد بعلبك ، وهو مقدار رطل ونصف بالرطل الدمشقي ، وذلك الشاقوف معمول من الحديد . ورأينا نحن قاعدة من الحجر قطعة واحدة أكثر من خمسة أذرع طولًا في خمسة باعتبار العرض ، كأنها كانت فوق عمود من تلك الأعمدة فوقعت على الأرض . وتحتها قبو القلعة وهو على حاله لم يتأثّر من وقعها . وقد ردم بعضُها بالتُراب ، ولكن لم يَخْفَ قدر وسعها .

وفي وسط القلعة شبّاك من الحجر داخله برج كبير عريض طويل ، يدور به من جميع جوانبه محاريب ، فيها صور وتماثيل . وفي داخل هذا البرج عمود فيه

ثقب بدرج على شكل اللولب ، يُصعد منه الى ظهر البرج المطلّ على البساتين ، وعلى قبر الشيخ عبدالله اليونيني قدّس الله سرّه ، فكأنّ نور ضريحه من بعيد كوكب . وفي داخل هذا البرج سبع قاعات مظلمات ، لا تتبيّن للرأي إلّا بإيقاد الشموع النيّرات . وفي داخل تلك القاعات قبةٌ صغيرة فيها ماء راكد ، أخبرني بعضُ الناس أنّ ذلك الماء كان مرصودًا أنه متى قفلت أبواب / القلعة لقَصْد قاصد جرى ذلك الماء وسال من سور القلعة الى الخارج ، ودام جريانُه للصادر والوارد . وهناك[١] بئرٌ يُقال له بئر الصياح سدّه ابنُ مَعْن لما هدم القلعة . وخاصيّتُه أنه متى حوصرت القلعةُ وُجد فيـه الماء . وكلّما زاد الحصار زاد الماء . وكان مرصودًا في ذلك .

وفي سقف هذا البرج من الجهة السُفْلى صورةُ حيّة وعقرب مع صورة فَتْحِ فمهما . وصورة طَبْل وزَمر على هيئة الضَرْب بهما . وكلٌّ ذلك من الحجر الصَلْد الأبيض ، منحوتٌ ، يظل الناظر فيه مبهوت .

وكذلك في قبو الدهليز الذي يُدخل منه الى القلعة صورُ رجال ينظرون الى الداخل ، منحوتة ، من الحجارة الصلبة ذات المنعة .

وهناك برجٌ آخر له سقفٌ من الحجار بشكل القاعة . وفي ذلك السقف قفاعه .

وفي وسط ذلك البرج إيوانان تجاه كلٍّ منهما قبة لطيفة . وفي احدى هاتين القبتين درج طويل يُقال إنه كان حبْسًا لأصحاب الأمور المخيفة . وخارج باب هذا البرج درجٌ نحو أربعين درجة يُصعد منه الى أعلا ذلك البرج بمراقي منفرجة .

وتحت هذا البرج برجٌ آخر يُنْزَلُ اليه بنحو أربعين دركة . وفي أثناء هذه الدركات حجرةٌ صغيرة من الحجارة المشتبكة . وفي ذلك البرج الأسفل إيوانان / وأربعـة قُبب . كلّ ذلك من الحجر المنحوت المنتخب .

وفي ساحة القلعة بئرُ ماءٍ كبير تتحيّر فيه النظّار ، وليس له قرار .

وفي الساحة ايضًا بحرة كبيرة جميعُها قطعةٌ واحدةٌ من حجر واحد ، مردومة جوانبها بالتُراب .

ومن الجهة القبليّة خارج القلعة عمود مجوّف يُقالُ إنه بمنزلة الطالع لماء القلعة، لكنّه الآن خراب .

(١) قوله « وهناك بئر ، الى .. مرصودًا في ذلك » مضاف في هامش الأصل .

وفي حائط القلعة القبليّ نحو أربعين حانوتًا مبنيّة بالأحجار . يُقالُ إنه كان هناك سوقٌ في الزمان الأوّل لبضاعات التجار .

وفي الحائط القبليّ من سور القلعة مدماك كلّه ثلاثة أحجار ، طولُ كُلّ حجر منها خمسة وثمانون قدمًا ، وعرضُه خمسة وثلاثون قدمًا ، كل قدم شبرٌ من الأشبار.

وخارج السور مقبرةٌ ، في جانبها حفرةٌ كبيرة . وفي داخلها حجر قطعة واحدة طوله وعرضه بقدر حجرٍ واحدٍ من تلك الأحجار الثلاثة المذكورة ، تسمّيه العامة حجر الحِبلة ، وليس له موضع اليه منه يُنزَل . وبجانبه صخرة كبيرة مستديرة يسمّونها المغزَل .

وكان قديمًا للقلعة باب كبير من جهة الغرب ، وهو الآن مسدود ، فليس اليها منه درب .

آ وكان اليها / أيضًا بابٌ يُخرجُ منه الى الدّباغة ، يُقالُ إنه أصلُ الأبواب ، وكانت عامرة مسكونة . وقد رأينا هناك جماعةً أدركوها كذلك قبل أن تصير خراب . (كذا) .

وكان الذي خربها ابنُ مَعْن أمير الدروز والتيامنة ، بسبب ما وقع بينه وبين بني الحرفوش في بعلبك من الحروب والعداوة الكامنة .

والظاهر [١] أنّ خرابها كان متقدّمًا في حدود سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، كما ذكر الشيخ ابو شامة رحمه الله تعالى في « ذيله على كتابه الروضتيْن » نقلًا عن « تاريخ » أبي المظفّر سبط ابن الجوزي قال : وجاءت [٢] في شعبان – يعني سنة سبع وتسعين وخمسمائة – زلزلةٌ هائلة من الصعيد ، فعمّت الدنيا في ساعة واحدة . هدمت بنيان مصر ، فمات تحت الهدم خلقٌ كثير ، ثم امتدّت الى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس فلم يَبْقَ فيها جدار قائم ، إلّا حارة السَمَرة . ومات تحت الهدم ثلاثون ألفًا . وهُدمت عكة ، وصور ، وجميع قلاع الساحل ، وامتدّت الى دمشق فرمَتْ بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق ، وأكثر الكلّاسة ، والبيمارستان النوري ، وعامة دور دمشق إلّا القليل ، وهرب الناسُ الى اللبّادين [٣] ، وسقط من

(١) قوله « والظاهر ... الى : وهما الآن خراب » مضاف في هامش الاصل ب .

(٢) انظر : ابو شامة ، الذيل ص ٢٠

(٣) في الذيل « الميادين » وهي أصحّ .

الجامع ست عشرة شرافة ، وتشقّقَتْ قبة النسر . وتهدّمت بانياس وهُوْنين وتِبْنِين . وخرج قومٌ من بعلبكّ يجنون الريباس من جبل لبنان ، فالتقى عليهم الجَبَلان فماتوا بأسرهم . وتهدّمتْ قلعةُ بعلبكّ مع عِظَم حجارتها ، ووَثيقِ عمارتها . وامتدّت الى حمص وحماة وحلب والعواصم ، وقطعت البحر الى قبرص ، وانفرق البحر فصار أطوادًا ، وقذف بالمراكب الى الساحل فتكسّرت . ثم امتدّت الى أخلاط وأرمينية وأذربيجان والجزيرة ، وأُحصي مَنْ هلك في هذه السنة على سبيل التقريب فكان ألف ألف انسان ومائة ألف انسان . وكان مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الانسانُ سورة الكهف ، ثم دامت بعد ذلك أيامًا . انتهى .

وهُونين [١] بضم الهاء ، وتِبْنين [٢] بكسر التاء وسكون الباء الموحّدة ونونَيْن بينهما ياء تحتيّة ، قلعتان في بلاد بشارة تابع بلدة صيدا ، وهما الآن خراب .

وبالجُملة فإنها قلعة عظيمة ، وأبنيتُها عجيبة غريبة ، تدلّ على أنها آثار قديمة . ووَصْفُنا هذا لها كان بعضُه بالمعاينة ، وبعضُه بالإخبار ممّن كانت بلاده بعلبك ، وتكرّر له الدخول فيها من صِغره الى كِبَره ، وله بها معرفة تامة من الثقات الأخيار .

وقد قلنا في ذلك ، على حسب ما هُنالك : [من الخفيف]

إنّ في بعلبكّ شيئًا فريدًا ... وعن النوع خارجًا والجنسِ
قلعةٌ قال كلُّ مَنْ قد رآها ... ليس هذا البناء بناء الأَنسِ

ولبلدة بعلبك خمسة أبواب واحدٌ منها مسدود . والأربعةُ : الأول يُسمّى باب دمشق ، والثاني باب نحلة ، والثالث باب حمص ، وهو الذي يُخرجُ منه الى الثلاثة أحجارٍ والحجر الكبير المعهود. والرابع باب المدينة / ، لم يزل الله مُساعدًا لمَن يلجُ منه ومُعينه .

ثم ذهبنا بعد ذلك ثانيًا مع الباشا ، سلّمه الله تعالى ، الى رأس العين ، فاتسع بنا ذلك المرجُ الأخضر ، وجلسنا منه على الرأسِ والعَيْن ، حتى قلنا في ذلك المنظر البهيّ ، والحُسْن الذي يبتدئ في الشوق اليه المنتهي :

---

(١) انظر ياقوت ، معجم البلدان ١ – ٨٢٤ ؛ الأمين ، خطط جبل عامل ، ص ٢٠٧ ، ولم يذكرها فريحة

(٢) انظر الأمين ، معجم خطط جبل عامل ، ص ٣٠٣

ومَرْجٍ بأعلا بَعْلَبَكَّ سَرَتْ بنـــا — اليه دواعي الأنس كشفًا عن الغيْنِ
ومَدَّ الينا خَدَّه الغضَّ مَـــوطئًا — وقال اجلسوا مني على الرأسِ والعيْنِ

ثم اجتمعنا هنالك بدَفْتَرْدار دمشق الشام ، وجرت بيننا وبينه مُنادمة ومُلاطفةٌ وكلام ، حتى إني أنشدت قولي من النظام ، في ذلك المقام :

سقى الله رأسَ العين من بعلبكَّ إذْ — أتيْنا نزورُ الصالحين أولي الدينِ
وقلنـــا لها جودي علينـــا بنُزْهةٍ — فقالت نعم، هذا على الرأسِ والعينِ

ثم إنّ الدفتردار حفظه الله تعالى كان ناظمًا في ذلك الوقت ايضًا بيتيْن باللغـة الفارسيّة ، فأنشدنا إيّاهما ، فكان ذلك من توافق الخاطر في هذه القضيّة ، وهما قوله :

آمَـــدْ يسرى وگُفْتِ بـــاشا خواهَـــدْ
جاكي نِشَسْتَ نامَش نامَش راس العين[1]
گُفْتَمْ تـو بُرُوْ .ومــــــــــا مي آيم
فَرْمـــانِ خُـــدَاوَنْـــدِ على الرأس والعين/ آ

وأصلُه أن الباشا ، حفظه الله تعالى ، أرسل اليه غُلامًا يدعوه الى الحضور عنده ، فقال في نظم هذا ما معناه : جاء غلام وقال الباشا يدعوك الى مكان اسمه راس العين ، فقلتُ أنت اذهبْ ، وأنا أجئ ، أمر الجليل الكبير على الرأس والعين .

[قبر الشيخ طاووس ببعلبك]

ثم ذهبنا عشيّة ذلك النهار ، بالسكينة والوقار ، الى زيارة قبر الشيخ طاووس قدّس الله سرّه ، وغيره من القبور المباركة التي هناك مستقرّة . وهو[2] مشهور عند أهل بعلبك أنه طاوس اليماني التابعي المشهور. وقد قرأتُ في بعض مجاميع النجم الغزّي من خطّه قال في « الحلية » عن ابن شوذب قال : شهدتُ جنازة طاووس بمكة سنة خمسٍ ومائة . وفيها عن عبد الرزاق عن ابيه قال : توفي طاووس بالمزدلفة

(١) هاذان البيتان مضبوطان بالشكل في ب و ظ ١
(٢) قوله « وهو مشهور.. الى بلاشك . مضاف في الهامش . وبعده : صح وهذه الزيادة ليست في ظ ١ وتوجد في ظ ٢

أو بمنى ، وفي ذلك ردٌّ لما يزعمه أهلُ بعلبك أن طاوس اليماني التابعي توفي ببعلبك . ولعل الذي ببعلبك كان اسمه طاووس ايضًا لكنه ليس هو اليماني التابعي بلا شك . انتهى .

[جامع الحنابلة ببعلبك]

ثم دخلنا الى جامع الحنابلة ، وهي حضرة مباركة فاخرة ، لأداء صلاة العِشاء الآخرة . فاجتمعنا هناك برجلٍ من المغاربة الشاذليّة ، في حجرة لطيفة داخل الجامع شماليّة . وأخبرنا أنه قصد الحجّ الشريف من بلاد المغرب ، فنزل في مركبٍ في البحر مع جماعة ظاهر حالهم عن الافتقار يُعرب . ثم إنّ الرياحَ اختلفَتْ عليهم ، والأمواجَ تلاطمت لديْهم ، حتى أيسوا من النجاة ، ولم يبْقَ لهم مستند إلّا الله ، وصار ماءُ البحر عندهم في داخلِ المركب مقدار قامة ، وهم يَسْبَحون فيه وقد يئسوا من الإقامة . فرأوا طيْريْن أخْضَريْن في طرفٍ من أطراف المركب ، ثم إن الله تعالى أعانهم / فنضحوا الماء منه بعد ما كان الى المنكب ، ويسّر الله تعالى لهم السلامة ، وأنجاهم ببركة دعاء الصالحين ، واعتقاد الأولياء والمتقرّبين ، من تلك المهلكة ، وأعطى كلّ واحد منهم مرامه .

ثم قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى لجميع إخواننا بالعاقبة الصالحة ، وأنه تعالى يقضي لكلّ واحدٍ منهم مصالحه .

[حمام بعلبك]

ثم خرجنا وذهبنا مع حضرة الباشا أعزّه الله تعالى ، بعد صلاة العشاء الأخيرة الى الحمام ، وهو بيتٌ لطيف الهواء والماء ، كأن أنابيبه الثغورُ ذات الابتسام . فتنعّمنا فيه بلطائف النعيم ، ومن العجايب حصولُ التنعُّمِ بالحميم . وقد قلنا في ذلك المعنى ، وأهجنا غانية المغنى :

إنّ حَمّامنا بـه حَرُّ نـارٍ	ولنـا في دخولـه إنعـامُ
لم نجدْ فيه غيرَ أغصانِ لُطْفٍ	لِحَمامِ الغِنـا بـه أنغـامُ
لـذّةٌ كلُّـه لنـا ونعيمٌ	وسرورٌ ، ونشأةٌ لا تُـرامُ
مثلُ نورِ الخليلِ إذْ هي نارٌ	وهي بَرْدٌ عليـه وهي سلامُ

ولنا ايضًا في ذلك ، مما يقف لهالسّالك : [من الخفيف]

قد دخلنا الحمّام في بعلبكٍّ وعلينـــا طيرُ السرا رِ ترنّمْ
فوجدنا النعيمَ في الحـرِّ منه وعجيبٌ من جنّةٍ في جَهنّمْ آ

وقلتُ كذلك في هذا المعنى المشير الى ما هُنالك : [من الخفيف]

إنّ حمّـــام بَعْلَبَكَّ لطيفٌ قـد دخلناه واحتوتْنا الكرامُ
وسمعنا فيه الغِنا ، ليت شعري أحَمَامٌ هناك ، أم حَمّـــامُ

وكان معنا ذلك الحمار ، المتقدّم فيه الكلام . فلم يوجد له ببعلبكّ إصْطَبْلٌ يُربَطُ فيه غير محكمة النائب التي يكون فيها فَصْلُ الأحكام . وكان السبب في ذلك أن نائب بعلبك هرب ، فكأنهم جعلوه بدلًا عن النايب ، وحيوان بَدَلٌ عن إنسانٍ هذا من العجب . فقلنا في ذلك :

نـائبُ بعلبكَّ مِـنْ جهـلٍ به لمّا هَرَبْ
مكانـــه الحمارُ قَـدْ قـام بـه تمَّ الأربْ

وقلت كذلك :

ونـــايبٍ ببعلبكَّ فـرَّ يبغـي مَظْلَمَـه
فربطـوا الحمارَ في مكانـه بالمحكمـة

ولإبراهيم چلبي المتقدّم ذكره ، والفايح في طيّ الأوراق نشره ، حيث قال :

مَكثْنـــا ليلتيْن ببعلبكٍ فلم نسمعْ لمكروه يُقَسِّي
ونائبُهـــا جزاه اللهُ خيرًا لقد كفَّ الأذى عنا ببأس ب
وأقلقَنا الحمارُ بقبحِ صوتٍ فعـــزّرَهُ وألْـــزمه بحبْسِ

اليوم السابع

[قبر عز الدين والرشادي]

ثم قمنا في الثُلث الأخير من الليل ليلة الاثنين ، وهو اليوم السابع ، بعدما قرّت ببعض نَوْمها العيْن . وركبنا فتوجّهنا الى جهة البقاع [1] العزيز ، ومررنا في الطريق فقرأنا الفاتحة لنبيّ الله عز الدين ونبيّ الله الرشادي [2] حين قربنا من قبريْهما بقدر ما نميز . [ولعلهما [3] من الأولياء الأمجاد ، ولكنّ إطلاق النبوّة عليهما وعلى أمثالهما أيضًا في هاتيك البلاد ، باعتبار ما عليه غالب أهل تلك القُرى من الاعتقاد ، في إنكارِ كرامة الوليّ ، فإذا رأوها قالوا هو نبي . كما بعضُ فضلاء بعلبك لنا هذا أفاد . أو أنّ ذلك باعتبار الجهلِ وعدمِ الرشاد ، أو أنه واردٌ على أصله والله أعلم بالمُراد].. الى أن خرج الفَجْر ، فصَلّينا الصبح في الطريق ، وأدركنا في الصلاة بالجماعة الثواب الأخير .

[قرية تمنين]

ثم سرنا الى أن وصلنا الى قرية تِمنين [4] ، بكسر المثنّاة الفوقية ، فنزلنا على عذب ذلك الماء المعين ، وتذكرنا بذلك الماء الزُلال عين قرية من قُرى دمشق وهـي منين [5] . وفي ذلك نقول ، وهو معنى مقبول :

---

(١) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ١ / ٦٩٩

(٢) Dussaud, *Topographie*, p. 410.

(٣) ما بين [ ] ليس في ب ، وهو في ظ ١ وحدها .

(٤) تقع اليوم في قضاء بعلبك في جنوب شرق نيحا . وهناك قريتان بهذا الاسم : تمنين الفوقا وتمنين التحتا . والاولى ترتفع عن البحر ١٠٤٠ م ، وتبعد عن بيروت ٦٥ ك م. انظر : مرهج ، اعرف لبنان ، وفريحه ، أسماء المدن والقرى ص ٨٤ ؛ Dussaud, *Topographie*, p. 412.

(٥) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ٦٧٤

قد أتينا بالقرب مِن بعلبكٍ قريــةً قيلَ في اسمها تِمنيــنُ
زاد حرفٌ فــزاد معنى ففــاقَتْ قريـــة في دمشق وهــي منيــنُ

[قرية ايلا]

ثم سرنا حتى وصلنا الى قرية نبيّ الله أَيْلا [١] ، بفتح الهمزة وسكون الياء . ويُقال إنه أخو يوسف بن يعقوب عليهم السلام . فصعدنا اليه في ذلك الجبل ، وترجينا / مـن بركاته عطاءً ونيْلًا ، وزرناهُ وصلينا الظهر بالجمـاعة هنـاك ، واذا بجماعة من العرب اتخذوا ضيافة ووفوا نذرًا لهم ، فكان لنا معهم في ذلك الطعام اشتراك . ووجدنا في الجهة المرتفعة من ذلك المزار ماءً جاريًا في فسقيّة مبلط ما حوْلها، بلطائف الأحجار . مؤذنة بأنه كان عليها في الزمان الأول قبة مرتفعة . والماء ينزلُ اليها من عينٍ في أعلا الجبل متّسعة، ووجدنا [٢] حجرًا كأنه كان مبنيًّا في تلك القبّة، وهو موضوع على العكس في بنيان هناك . وأحرف كتاباته منكبّة . فقرأناه بعد جهد جهيد ووجدنا فيه أبياتًا متضمّنة تاريخ بناء تلك القبة ، وذلك البناء الذي كان مشيد . وهذا النظم منسوب الى السيد عبد الكريم من أهل كرك نوح عليه السلام ، وهو قوله عليه رحمةُ الملك العلّام .

آ

هـــذه قبـــةٌ لهـــا تقديسُ كعروسٍ لهـــا الجمالُ النفيسُ
بين نوحٍ وبين شيتٍ تراهـــا ذاتَ نورٍ يضيءُ منـــه الحبيسُ
وهي محفوفـــةٌ بجنّات وردٍ وثمـــارٍ قُطوفُهـــا لا تخيسُ
شادَ أَركانهـــا الأميرُ علـيٌّ ولـــه في خلائقهـــا تـأسيسُ
ولهـــا رونـقٌ بحضرة أيْـــلا من نزهة الواردين وهو الأنيس
إن تاريخهـــا الأمير ابن موسى قد بناها فحبّ نعم الجليس

وذلك سنة تسع وتسعين وتسعماية . والحبيسُ المذكور في الأبيات مكان منتزه في الفُرْزُل ، بضمّ الفاء وسكون الراء المهملة وزاي مضمومة ولام ، قرية هناك [٣] .

(١) تسمّى اليوم النبي أيلا . وأهلها شيعة كلّهم ، وانظر Dussaud, *Topographie,* 410

(٢) قوله « ووجدنا حجرًا ... الى قرية هناك . مضاف في هامش الأصل ب وهو في متن النسخ الأخرى .

(٣) تقع اليوم في قضاء زحله ، ترتفع عن البحر ٩٧٥ م ، تبعد عن بيروت ٦٠ كلم . انظر مرهج ، اعرف لبنان وفريحه ، اسماء المدن ص ٢٥٣ .

وقلنا في مدح تلك الحضرة على حسب التيسير هذا النظم القليل الكثير :

قــد ركبنا العزم خيلًا	لنبيّ الله أيْــــلا
فــرأينـــــاه مَــــزارًا	بثّ فينـا حُبّ ليلى
نــوره يُشرقُ منــــه	وَهَبَ الزوّار نيْــــلا
جبـــلٌ عـــالٍ عليــه	قريــــة طابتْ مقيـــلا
وبهـــا مـاءٌ زُلالٌ	سالَ مــن أعــلاه سيْلا
بــارك اللهُ بهــا مِنْ	قريــةٍ دارًا وكيْــــلا
وعـــلى مَنْ هو فيهـا	مــن مشوق مـــال مَيْلا
صلـــواتٌ وســـلامٌ	مـــا كلام الحق قيــلا

[قرية كَرَك نوح]

ثم سرنا الى أن وصلنا الى قرية الكَرَك المتقدّم / ذكرها[1]. فزرنا فيها نبيّ الله نوح عليه السلام. وفاح لنا من طيّ جوانبه نَشْرُها، ورأينا طولَ قبره بمقدار شيت عليهما السلام، وذلك مقدار أربعين ذراعًا : مائة وعشرون بالشبر التام. وفوق قبره جَبَلُون من الخشب بمنزلة السفينة المقلوبة، وقد صُفّت فوقها الكراميت من الفخّار المشوي كأسطحة بلاد الروم وحول القبر درابزيناتٌ منصوبةٌ ، وذلك القبر في صحن الجامع المبلّط بالأحجار، وحول ذلك الصحن جدرانُ الجامع مبنيَّةٌ بالحجارة المنحوتة . وفيها شبابيكُ الحديد تطلّ من العلو على تلك المرَوج والأقطار، والجامعُ مبني مع القرية فوق الجبل ، وفيه محرابٌ ومنبر ، وله منارة لطيفة، فوق رأس القبر ، بها[2] ذلك الحُسْن اكتمل . وربّما قال مؤذّنها مكان حيّ على الصلاة حيّ على خير العمل.

وفي طَرَف صحن الجامع قبّة مبنيَّةٌ من الحجارة المنحوتة ، وتحت القبّة فسقيّة يجري فيها الماءُ من ماء القرية ، تطلّ تلك القبّة على تلك الجهات المنعوتة .

---

(١) انظر ص ٧٠ وما بعدها

(٢) قوله « بها ذلك الحسن اكتمل » مضاف في هامش الاصل ب ، وبعده : صح وهو في متن النسخ الاخرى .

قال الهروي في « الزيارات »[١] : ومن أعمال مدينة بعلبك قريةٌ يُقال لهـا الكَرَك. بهـا قبر نـوح عليه الصلاة / والسلام . وذكـر أصحـاب السِّير أنّ قبر آدم ، ونوح ، وسام ، وابراهيم ، واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام في أرض القدس بالمغارة . والله أعلم . وقيل : قبر آدم بالهند ، بوادي سِرَنْديب وقيل بجبـل أبي قُبَيْس . والله أعلم . وبالكرك ايضًا قبر حبلة ابنة نوح عليه السلام . انتهى كلامه .

قلتُ : ولم أعلم أن قبر ابنة نوح هُناكِ ، فلم أَزُرْه ، وما سمعتُ به من أهل تلك القرية . صح

وفي كتاب « المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » للشيخ السخاوي رحمه الله تعالى. قال نقلاً عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني : ومن القبور ما يُذكر بجبل لبنان من البقاع أنه قبر نوح عليه الصلاة والسلام . وإنما حدث في أثناء المائة السابعة . ا هـ .

وقوله : إنما حدث في أثناء المائة السابعة يدفعُه ذكرُ الهرويّ له . فإن وفـاة الهروي ، وهو علي بن أبي بكر ، في المائة السادسة[٢] ، كما في « تاريخ ابن خلّكان » وقد ذكر أن بالكرك قبر نوح عليه السلام .

ويدفعه أيضًا ما ذكره الشيخ شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي في كتابه « المشترك » أنّ بالكرك قبرٌ طويل يزعم / أهل تلك الناحية أنه قبر نـوح عليه السلام [٤] . وكانت وفاة ياقوت المذكور بحلب في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستماية »[٣] .

وفي حاشية جدّ والدنا شيخ الاسلام ، مفتي الأنام ، الشيخ اسماعيل النابلسي رحمه الله تعالى على « تفسير البيضاوي » في سورة هود عليه السلام أنّ نوحًا عليه السلام عمل سفينته من الساج ، وهو شجر عظيم يُجلب من بلاد الهند ، وقيل من خشب الصنوبر .

---

(١) الزيارات، ص ١٠

(٢) توفي الهروي سنة ٦١١ هـ/. فوفاته اذن في المائة السابعة، لا المائة السادسة.

(٣) اي في المائة السابعة أيضًا. انظر : «المشترك وضعًا» ص ٣٧٢.

وفي « تفسير القرطبي »[١] عن عمرو بن الحارث أنه قال : عمل نوح عليه السلام سفينته ببقاع دمشق ، وقطع خشبها من جبل لبنان . انتهى .

فعلى هذا يمكن أن يكون نوحًا عليه السلام هو المدفون في الكرك. وهو القبر المشهور لأنها كانت أرضه، وموضع سُكناه، وصنع الفُلْك فيها .

وقلنا في ساعة قدومنا الى زيارة نوح عليه السلام ، هذه الأبيات من النظام :

قد أتيْنا الى الكركْ وانمحى الهمُّ وانفركْ
وتجلّتْ مَهابــةٌ لاصطياد المُنى شَرَكْ
وبنوحٍ ٱلنبيِّ قد عَظُمَ الحفظُ والدرَكْ/
وسعُدنا بزَوْرَةٍ سِرُّها كان مُشترِكْ

وحين أقبلنا على قرية نوح عليه السلام وجدنا بها جماعات من قرية القَرْعون يريدون أن يعملوا مولدًا للنبيّ صلّى الله عليه وسلم لَيْلًا في ذلك المقام ، فحضرنا معهم في تلك الضيافة ، وحصل لنا بذلك حظٌ وافرٌ وزيادة لطافه .

(١) انظر تفسير القرطبي ج ٩ ص ٤٣ وفيه : «كانت دار نوح عليه السلام دمشق ، وأنشأ سفينته من خشب لبنان ... »

اليَومُ الثَامِن

ثم بتنا تلك الليلة وأصبحنا في اليوم الثامن ، وهو يوم الثلاثاء المبارك ، فصلّينا الصبح بالجماعة ، وركبنا ولنا الله بالمعونة تدارك .

[قرية سعدنايل]

فمرزنا في الطريق على قرية تسمى «سعدنايل» [١] ، وهي أول قرى البقاع العزيز ، فنظمنا في ذلك وهو من ألطف عطاء ونايل

قد أتينا لبقاعٍ ورأينا سَعْدَنايلْ
وتفاءلنا فقلنا هو سعدٌ وهْو نايلْ

[سهل البقاع]

ثم سرنا في أرض البقاع [٢] ، وتأملنا هاتيك الجبال والوهاد مما تلتذّ برؤيته العيون ، وبلطائف نسماته الأسماع . وأنشد بعضُ الأصحاب هذا البيت المشهور ، على طويقة التضمين العابث بأذيال السرور . وهو :

وإذا تأمّلتَ البقاع وجدتَها تَشقى كما تشقى الرجالُ وتَسْعَدُ /

فضمّنتُ هذا البيت بتمامه حيثُ قلتُ من النظام ، مُشيرًا الى مَنْ كان معنا من السادة الكرام :

جئنا الى أرضِ البقاع نزورُها مع سادةٍ لهمُ العُلا والسؤدُدُ
حتى بهم سَعُدت وزال شقاؤها فغدَتْ تتيهُ وعا على يدها يَدُ
فذكرتُ بيتًا لِلّذين تقدّموا فيه الإشارة للذي هُوَ يُقْصَدُ
وإذا تأملتُ البقاعَ وَجَدْتُها تشقى ، كما تشقى الرجالُ وتسعَدُ

(١) تقع اليوم في قضاء زحلة . ترتفع عن البحر ٩٥٠ م ، تبعد عن بيروت ٤٧ كم . انظر : مرج ، اعرف لبنان ؛ وفريحة ، اسماء المدن ص ١٧٤ ؛ Dussaud, *Topographie*, p. 411

(٢) انظر ياقوت ، معجم البلدان ١ – ٦٩٩ ؛ وفريحة ، اسماء المدن ص ٥٣

ثم إني ضمّنتُ ذلك أيضًا على طريقة الاكتفا ، فحصلتْ فيه التوْريةُ اللطيفة من غير انتفا ، وذلك قولي :

إن البقــاع هي الجنانُ فحبّــذا تلك الرياضُ إذا الغداةَ قصدتَها
وقلوبُنــا ضاعتْ هُناك تنزُّهًــا وإذا تأملتَ البقــاعَ وَجَدْتَهــا

ولإبراهيم چلبي المذكور سابقًا ، وكان الى هذا المعنى متسابقًا : [من الخفيف]

إن قطرَ البقاع قطرٌ عجيبٌ ليس يَخْفى عمن حوى تمييزا
جامــعٌ تربُه الشريفُ كُرامًــا فلهذا سُمّيَ البقــاعَ العــزيزا

وكان في صحبتنا رجلٌ يُسمّى بركات ، وهو دليلٌ لنا على الطريق في هاتيك الدرجات والدركات ، فقلنا نُشيرُ الى مافي اسمه من التورية اللطيفة ، والنكتــة المنيعة :

[١٠آ]

قــد مشينا الى البِقاعِ صباحًا واهتدينْا ، وتَمّتِ الحاجاتُ
كيف لا نهتدي الى كلِّ خيرٍ ومن الله عنــدنا بركــاتُ

ولابراهيم چلبي المذكور : [من الكامل]

سِرْنا نزور الأولياءَ ذوي الهُــدى من كل شَهْمٍ والوقارُ عليــه
والسعدُ خادمُنا بصحبة شيخنــا مَن قد غدا فَرْدًا يُشارُ اليــهِ
أعني به عبدَ الغنيّ ومَــنْ لــه حالٌ فكلّ الناسِ طوْعُ يديه
أبقاه ربّي دائمًا سنــدًا لنــا نرجو الإلــه بــه ونحن لديْه
ما غرّد القمريُّ يومًا في الرُّبــا ودعــا المصلّي فاتحًا كفّيْه

ومن نظم رفيقنا مفخر الأعيان، ذوي الفضل والاذعان، السيد أحمد المعروف بابن النقطة ، سلّمه الله تعالى ، وذلك من المواليا قوله :

لما رضِى الرب عنّا في دُجى الأسحار
سِرنــا نروم زيارةَ سادةٍ أبــرار
نلنــا القبول مــن المولى العــلي السِتّار
بصحبة الفَرْد شيخي عاليَ المقــــدار

[قرية ثعلباية]

ثم مررنا بقرية ثَعْلَبايَة[١] ، بفتح الثاء المثلّثة وسكون العين وفتح اللام بعدها باءٌ موحّدة وألف ثم ياء تحتيّة وهاء . فنزلنا ، وزرنا فيها قبر الشيخ عبد الله العجمي رحمه الله تعالى . ودعونا الله تعالى عنده ، وحصل لنا كمال الأجور ، وقال في ذلك ابراهيم چلبي المذكور :

قــد أتينا لِثَعْلَبايَةَ نَبْغــي زورةَ الــوليِّ عبــدِ اللهِ

فرأينـــا مَهــابةً ووَقــارًا فوق قبرٍ لــه بفضل اللهِ

ب

[قرية قبّ الياس]

ثم سرنا الى جهة القرية المشهورة بـ « قبّ الياس[٢] » ، ولعلّ الصواب في ذلك قبر الياس ، وأنه من تحريفات العوام . وهو قبر الياس النبيّ عليه الصلاه والسلام . قال في « القاموس » : بقاع كلب موضع قرب دمشق به قبر الياس عليه الصلاة والسلام . انتهى .

ولعلّ تلك القرية كان اسمها بقاع كلب في الزمان الماضي . ويؤيده ما أخبرنا به بعضُ أهلها أنّ هناك مكانًا يسمّى « رِجْل كلب » بكسر الراء وسكون الجيم . وكلب اسم قبيلة من العرب كانوا ينزلون في تلك القرية فسمّيتْ بهم .

ثم لمّا أقبلنا على قبر الياس عليه الصلاة والسلام عملنا هذا المطلع من النظام ، وهو قولنا :

لمّا أتينـــا نحوَ قَبْرِ اليـــاسِ عاش الرجاءُ وكان قبرَ الياس

ثم دخلنا القرية المذكورة ، وخرج للقائنا أهلُها بقلوب صافية ونفوس مسرورة . وكان[٣] ممن خرج فتلقّانا بصدره الرحيب وحسن طلعته ، وجمال بشاشته فجلى علينا

(١) تقع اليوم في قضاء زحلة في الشمال الشرقي لشتورا . ترتفع عن البحر ٩٢٠ م ، تبعد عن بيروت ٤٥ ك م. انظر : مرهج ، اعرف لبنان ؛ وفريحه ، اسماء المدن ص ٨٠ ؛ Dussaud, *Topographie,* p. 412.

(٢) تقع اليوم في قضاء زحلة ، ترتفع عن البحر ٩٠٠ م ، تبعد عن بيروت ٤٣ ك م . انظر : مرهج ، اعرف لبنان . وفريحه ، اسماء المـدن ص ٢٥٩ وزعم أن الياس أحد امراء المردة ، Dussaud, *Topographie,* p. 411.

(٣) قوله « وكان ممن ... الى : في حرز حريز » مضاف فى الهامش الأصل ب ، وبعده صح صح صح . وهو في متن النسخ الأخرى .

وجه الحبيب ، محبّنا وصديقنا مفخر الأعيان ومعدن كمالات الانسان خداوردي چوربجي ابن الراعي حفظه الله تعالى ، وكان سردار العسكر المحافظين في البقاع العزيز . وخرجت معه جماعات كثير ، جعلهم الله تعالى من العناية في حرز حريز .

وقد جاءنا في ذلك اليوم مكتوبٌ من دمشق الشام من حضرة أخينا شقيقنا العلامة الشيخ يوسف النابلسي [1] فيه البشارة لنا بمولود غلام / فبنيْنا على ذلك الأساس ، وأكملناها قصيدة في مدح نبي الله الياس . واتفق لنا في هذه القصيدة تاريخ المولود ، جعله الله تعالى بالخيرات مسعود . فقلنا فيما أردنا :

لمـــا أتينـــا نحوَ قبرِ آليـــاسِ	عاشَ الرجـاءُ وكان قبرَ الياسِ
وعـلى أُناسٍ قد نزلنـا سادةً	حازوا العُلى أكرِمْ بهم من ناسِ
وتمتّعتْ أرواحُنـــا بلقائهـــم	وبما لديهم لم نجدْ مـن باسِ
إنّ النبيّ آلياس في ذاك الحمى	ليثٌ على الأعدا شديدُ البـــاسِ
أسرارُه دعتِ القلوبَ لنحـــوه	فأتتْ وقـــد حُفظت من الوسواسِ
صلّى عليـــه اللهُ ما هبّ الصَّبا	بين الرُبا بلطايف الأنفـــاسِ
ولقد نَعمْنا فيـهَ غبَّ زيـارة	مـع سادةٍ أهل َالحجا أكياسِ
وعلا لدى ذاك المقـــام مقامُنا	وجلا علينا الأنسُ ألطفَ كاسِ
وتجلّت الأسرارُ في أَسَرارِنـــا	وتتابعتْ مـن سائر الأجناسِ
وأتَتْ بشارتُنـا بمولـودٍ لنـــــا	بمحمدٍ سُمّي لطيبَ غـراسِ
وعلى كمال الخيرِ في أحوالنـا	أرّخ : **تدلّ بشائر الإينـــاسِ**
أبقـــاه ربُّ الناس في خيرٍ وفي	سَعْدٍ رفيــعِ الجاه بين النـــاسِ
ما غرّدتْ بين الرياض حمامـــةٌ	وسرى النسيمُ على غصون الآس

وقد ورد علينا الى قبر الياس عليه السلام ، في ذلك اليوم / رجلٌ من أقاربنا وهو من الصالحين اسمه الشيخ مسعود ، فتفاءلْنا بآسمه المبارك فيما جاءنا من المولود . وكان معه كديش عليه قَتَبٌ ، وهو راكب على ذلك ، وصابرٌ على مشقّته ، والصبر مرتبة من الرتب . وقد أذِن له صاحبه من قرية برّ الياس أن يزور عليه قبر النبي نوح عليه السلام فقط ، فدار به معنا جميع مزارات البقاع ، فلعله بذلك

(١) توفي سنة ١١٠٥ هـ. انظر سلك الدرر ٤ – ٢٤٦

للأجور التقط . وكان يصعد به الى الجبال وينزل به في الوهاد ، وهو محلول الحزام ، وراكبه محفوظ من السقوط ببركة السادة الأمجاد .

وقد قلنا في ذلك:[من الرجز]

يا راكب البِرذَوْن من فوق القتبْ ومن بعيدٍ مُقبلٌ وعــن كَثَبْ
مُرخي الحِزام لا يُبالي مَنْ عَتَبْ أنت بهذا الجَذْب في أعلا الرُتَبْ

وقد توافق هذا الكديش مع ذلك الحمار ، في أنّ كلّ واحد منهما مأخوذ من غير إذن صاحبه ، ولهذا أكثرنا عنهما الأخبار .

وبلغنا عن صاحب الحمار أنّه كان يُعاتبُ حماره على تقصيره في السير ، ويَعِدُهُ أنه يأخذه الى قرية بيت سحم للنشأة والسير ، حتى إننا لم نسمع له في تلك الليلة صوتَ نهاق ، فقلنا / في ذلك مما تترنّم به الأوراق : [من الخفيف] ٣٢آ

ما سمعنا في الليل صوتَ حمارٍ منـــه يا طالَما سمعتُ رعــودا
فكأنّ الحمارَ في بَيْت سَحْـــمٍ يرتعي الروضَ منه حَلّ القيــودا
ووفـــاه بالوعدِ صاحبُـــه الشيْ خُ عُبَيْدُ الرحمن فازداد جــودا
بات في راحـــةٍ وأمْنٍ وخيرٍ يشكر المُنعمَ اللطيفَ الــودودا
فعسى يُدرِكُ المُنى عـن قريبٍ ولـــه يُنْجـزُ الزمـــانُ وُعودا

وبلغنا ايضًا أن ذلك الحمار حرد على صاحبه ، ورمى بمخلاةٍ العليق ، وقصد الدّجاجة ليأكلها بالحياة من فرط ما صار عنده من الضيق . فقلنا في ذلك، وأنرْنا هذا الليل الحالك :

قـــد رأينـــا أمرًا عجيبًا غـــريبًا في البقاع العزيزِ بين البَرِيّـــهْ
تَرْكُ هذا الحمار أكـــلَ عَليـــق قاصدًا يأكلُ الدجاجة حَيّـــهْ

وكان معنا أحمدان ، لطيفان ظريفان ، أحدهما في دمشق الشام رئيس الأذان ، والآخر يُطعم من طرائفه الأفواه ويُتحف بلطائفه الآذان . فقلنا في أحمد الثاني ، وتلونا حركاتِ المثاني :

ومُسَمىً بأحمـــدٍ رَقّ لُطْفًـــا فمعـــانيه في الكمال مِيـــاهُ /
منـــه طابتْ أسماعُنـــا بغنـــاءٍ واستلـــذّتْ بطبخـــه الأفـــواهُ

وقلنا كذلك :

رُب ذي خبرةٍ بطبخِ طعــامٍ صَوْتُه مُطربٌ أجــاد السّمــاعا
يُحسنُ الطبخَ والغنــاءَ جميعًــا فيُقيتُ الأفــــواهَ والأسماعــا

وقد قلنا في أحمد الأوّل ، الذي عليه في لطايف السماع المعوّل :

قد مُلئنا من الأناشيد طيبًـــا فكأنــا في ضاربات المثــاني
كيف لا نمتلي بطيبِ سمـــاعٍ وغـــدا بيننـــا رئيسُ الأذانِ

ثم بتنا تلك الليلة في القرية المزبورة .

اليَومُ التَاسِع

[قلعة قبّ الياس]

وأصبحنا يوم الأربعاء ، وهو اليوم التاسع من تاريخ هذه الرحلة المسطورة ، وقد وجدنا في قرية قبر الياس [١] المذكورة قلعةً [١] متينة من بناء ابن مَعْن الذي كان أمير الدروز سابقًا ، وله سيرة غير مشكورة . وخارج القلعة برجٌ خَراب ، وفيه بئرُ ماء مَرْدوم بالتراب ، وبابُ القلعة تجاه ذلك البرج المهدوم ، وهو باب من الخشب المتين لا يعمل فيه الفأس ولا القَدّوم . وداخل الباب دهليز طويل ، جميعه مبني بالأحجار الكبار ، والقبو الذي ما اليه سبيل ، وعلى يمنة الداخل حجرة كبيرة ذات مرامي متينة ، وفيها درج الى سطح / القلعة ، وبئر ماء غير معينة ، ثم في نهاية ذلك الدهليز بابٌ للقلعة ثاني ، وداخله دهليزٌ صغير ينتفع فيه القاصدُ والعاني ، ثم بعد ذلك بابٌ ثالث يُدخل منه الى تلك الساحة ، في وسط القلعة وهي واسعة المساحة ، وفي وسطها بئرٌ يجتمع فيه الماء مَن الأمطار التي تنزل من أعالي الأسطحة ، وهو بئر كبير أوسع من قدر نصف الساحة ، له فمان مفتوحان للانتفاع والمصلحة ، وفي تلك الساحة إيوانٌ واسع كبير ، في كلّ ناحية منه حجرة ذات شبّاكيْن مالهما من نظير . وفيهما مطبخان كبيران ، مبنيّان بالأحجار من الصوّان ، وبالقرب منهما بيتان ، لما يُحتاج اليه من آلات الطبخ مُعَدّان . وهناك فرنٌ وحمّام صغير ، وثلاث حجرات شرقيّة كِبار ذات شبابنك شرقيّة ، كلّها معمولة بالقبو والتحجير .

والجهة الشرقية مشتملةٌ على أربع حُجرات . وعلى يمنة الإيوان باب فيه عشرون من الدرجات ، وعلى مَيْسَرة هذا الدرج حجرةٌ مظلمةٌ ليس فيها شبابيك غير مرماة

---

(١) قال عنها Guillaume de l'Isle (١٧٦٤ م) : انها قلعة لا تقهر : forteresse imprenable Dussaud, *Topographie*, p. 411.

واحدة ، وداخلُها دهليزٌ فيه سبعة مرامي نافذة . وعلى مَيْسرة هذا الدهليز حجرة كبيرة فيها شباكان / مُطلّان على ساحة القلعة الخطيرة ، وأيضًا حجرة مُطِلّة على تلك الساحة المستديرة . وعلى مَيْمنة الدرج المذكور ايوان كبير ، وفيه مرامي وشبابيك يتمتّع بها كلّ بصير . وخارجه حجرة فيها شبابيك ومرامي ، وبابٌ يُتَوَصّل منه بدرج الى سطح القلعة السامي . وفيها أيضًا باب بعشرين دركة يُتوصل منه الى باب القلعة ، وباب بعشرين دركة في أعلاه بيت الطهارة مع دهليز ثاني ، به مرامي أتقنها الباني . وفي مَيْسرة ذلك الدهليز حجرة شمالية فيها منافع شرعية . وفيها ثلاثة شبابيك مطلّة على أماكِن عَلِيّة ، ثم بعد ذلك حجرة بشباكين مُطلّيْن على الساحة المزبورة . وأيضًا حجرة شتوية صغيرة ، وايضًا درجان على المَيْسرة يُصعد منهما الى السطح ، كلّ واحد منهما خمسة عشر درجة . وسبع مرامي على أسطحة الحجرات مندرجة ، وفي كلّ حجرة من الحجرات المذكورة وجاق مبني من الحجارة . وهناك حجرات شمالي القلعة قد شُرِع في بنائها وما تمّت لها العمارة ، وفي تلك الأسطحة ميازيب من الحجر الى جهة / ساحة القلعة ، وأيضًا درج مقدار الأربعين درجة الى أسفل تلك الساحة ذات الوسعة ، وفي أثناء الدرج بيتٌ للطهارة ، ودرج آخر على يمينه ثمانية حجرات ، كل ذلك مصنوع من الحجارة .

وبالجملة فهي قلعة مشتملة على منافع كثيرة ، وأمور تدعو اليها الضرورة . وقد قلنا في وصفها ، وحسنِ ارتفاعها ولطفها :

وقلعةٍ قَلَعَتْ عَيْنَ العدوِّ بمــا عَلَتْ به من بروجٍ ذاتِ تحصينِ
كأنها فوق قبرِ اليــاس مُشرقــةً عــلى جوانبـه تاجُ السلاطينِ

ثم بتنا أيضًا بتلك القرية .

اليومُ العاشر

[الزيارات في جبل لبنان]

فلما أصبحنا يوم الخميس ، وهو اليوم العاشر بلا مرية ، توجهنا للزيارات التي في جبل لبنان ، بمعونة الكريم المنّان . وقد قلنا في ذلك من المواليا :

لمـا أتينـا الى أعـلا جبـلْ لُبْنانْ
وقفتُ في عَرَفاتِ القلبِ بالاحسان
وطورِ سينا غـرامي محكـم البنيان
يا أهلَ قاسونَ كَمْ ذا الصدّ والهجران !

ولإبراهيم چلبي المذكور سلّمه الله تعالى :

لمّـا نزلنا بذاك السفح ممـن لُبنـان قد جَالَ في القلب تركُ الأهلِ والأوطان
ومَدْمَعـي سال فـوق الخـدّ كالغدران
وكـلُّ صعبٍ بحمـد الله لي قَدْ هان /

[قبر شيبان الراعي]

ثم إننا مررنا على حسب مقتضى الراعي ، بقبر وجدناه هناك يُقال إنه قبر شيبان الراعي . فوقفنا عنده ، ودعونا الله تعالى أن يُديم إحسانه ورفده .

[قبر نبي الله داود]

ثم مررنا بقبر نبيّ الله داود عليه السلام ، وهو قبرٌ طويل ليس عليه بُنيان . وقيل لنا هذا قبره ، والله أعلم بحقيقة ذلك الكلام . والمشهور أن قبره في بيت المقدس ، فوقفنا عنده ودعونا الله تعالى بقلب في زيارته متأنس .

قال الهروي في « الزيارات »[١] : بيت لحم بلدة بها مولد عيسى عليه السلام . ويُقال إن داود وسليمان عليهما السلام قبراهما فيه . انتهى .

[عين الصالحين]

ومررنا بالقرب من عين الصالحين ، ورجونا من الله تعالى أن يجيبنا فيما دعوناه ببركة مَنْ يَرِدُ عليها من عباده السائحين .

[عين العابد]

ثم توجهنا الى جهة عين العابد . وهي عين مباركة في أعلا جبل لبنان ، يأوي اليها الراكع الساجد . وفي هذا المقام نقول من النظام :

لبنانُ في أرضِ البقـــاعِ مُباركٌ جَبَلٌ شريفُ القـــدرِ قَيْد أوابـــدِ
شملتْه عيْنُ الصالحين بنورِهـــا وبه أقرّ اللهُ عَيْنَ العـــابدِ

[عين المضيق]

وقد مررنا في ذلك الطريق ، على عين تسمّى عين المضيق . ومررنا بذلك السهل الممتنع من اتساعه على الرفيق . فقلنا في ذلك :

يـــا رعى اللهُ جَمْعَنا تحت لُبْنـــا ن وقد ضمّنا انتظـــامُ الطريقِ
ومشينا في الوعْرِ عنـــد صبـــاحٍ فبدا السهلُ عند عين المضيـــقِ

[جبل لبنان]

ونظرنا الى جبل لبنان ، فرأيناه جبلًا عظيم القدْر والشان . يشتمل على ميـــاه جارية ، وأشجار من جميع الألوان مرتفعة عالية ، وثمار مختلفة ، وأزهار مؤتلفة ، وغير مؤتلفة ، وعرائش من الأعناب ، وأمور تتحيّر فيها أولوا الألباب ، حتى إنا وجدنا فيه شجرة من السنديان كبيره ، حاملة حجرًا عظيمًا لم تَرَ العيون نظيره . وقد اقتلعتْه من الأرض فهو بها ملتصق وملتحم ، وهي تحيط به وعليه تحتكم .

واخبرنا هناك بعض الناس أنّ الذيبَ لا يعدو على الشاة في ذلك الجيل المبارك ، وليس له على الحيوان اعتساس . ولم ينهق في ذلك المكان الحمار المذكور سابقًا لعدم وجود الشيطان .

---

(١) الزيارات ، ص ٢٩

[قرية زوق البصليّة]

ب ثم توجَّهنا بعد ذلك ، بمعونة / القدير المالك، الى زوق التركمان المشهور بزوق البصليّة . وقد دَعُونا الى ضيافتهم فأجبناهم بنفس مرضيّة . فوصلنا اليهم عَشيّةً ، وقد ضربوا لنا قبّةً مستديرةً معمولة من اللبابيد التركية ، فَبِتْنا عندهم تلك الليلة في عيشة رضيّة .

وقد قلنا في هذه القضية :

يـا سائلي عـن ليلةٍ بِتُّهـا　　في قبّـة اللبّادِ في التركمـانِ
ما حالُ مَنْ بـاتَ ببطّيخـةٍ　　مُصْفَـرّةٍ ذاتِ ضلـوعٍ ثمانْ

وقلنا أيضًا في ذلك :

وليلةٍ قـد بتّ في عُشّةٍ　　كأنهـا بطّيخـةٌ صَفْـرا
أضلاعُها مَصْفوفةٌ حولهـا　　وقُرْصُهـا صُرّتُها الخضرا
وبابُهـا كالمشتري عندمـا　　يحفرُ في جنبٍ لهـا حفـرا

اليومُ الحادي عشر

[قبر نبي الله العزير]

فلما أصبحنا يوم الجمعة ، وهو اليوم الحادي عشر ، صلّينا الصبح ، وتوجّهنا الى زيارة نبيّ الله العزير عليه السلام . وبالنبي أزعور تسميه أهل تلك القرى من العوام . فدخلنا الى حضرته بالإعزاز والإكرام ، ودعونا الله تعالى بأنواع الدُعاء للخاصّ والعام ، وقلنا في ذلك من النظام : / آ

قد أتينا نزور قبر العزيرِ	وحظينا بكلّ لطفٍ وخيْرِ
ومشينا مـع الصباحِ اليه	ورأينـا إلٰهنـا بذاك المسيرِ
ومن الله ربِّنـا نترجّـــا	علّنـا أن يهونُ كلّ عسيرِ
ودعوْناه ، وهــو خيرُ مجيب	يا غنيًّا يُجيب كــلَّ فقــيرِ
وعلى السيّد العُزَيْر نبيّ الـ	له أوفى صلاةِ ربٍ كبـــيرِ
مع سلامٍ يفوح طيبُ شذاه	فتزيــد البلاد في التعطــيرِ
أمدَ الدهر ما أضاءتْ بروقٌ	دزها الروضُ بالسحابِ المطيرِ

[قرية المرج] – [قرية الاصطبل]

وقد مررنا في الطريق على قرية تسمّى المرج ، وقرية تسمّى الاصطبل [١] . فأخبرنا بعضُ الأصحاب ، بنكتةٍ جرتْ من بعض القُضاة ، على سبيل الاقتضاب . وهي أنّه سأل عن رجلٍ فقيل له هو في قرية الاصطبل ، ثم سأل عنه في ثاني يوم فقيل إنه خرج الى قرية المرج ، ثم سأل عنه ايضًا فقيل إنه ذهب الى الاصطبل ، فقال : إن هذا أمر عجيب ، وما أحسن هذه الدابة التي تذهب من المرج الى الاصطبل ،

(١) انظر : Dussaud, *Topographie*, p. 401

ومن الاصطبل الى المرج . ومن لطف هذه النكتة أن الرجل المذكور كان ينبز
ب بالجمل [١] . وفي ذلك نقول ، على حسب ما تستعذبه العقول : /

ربّ امرئٍ في قرية المرج قَدْ بـات لنيْل الخيْر يَسْترجـي
ثم أتي منهـا الى قريـة الْـ اصطَبْل يحكي فرس السَرْجِ
تمضي من المرج الى اصطبلها ثمّ من الاصطبل للمرجِ

[قبر نبي الله زريق]

ثم توجهنا الى زيارة نبي الله زُرَيق على حسب ما هو مشهور ، أنه من أنبياء بني إسرائيل ، والله أعلم بحقائق الأمور . فصعدنا اليه وهو في جبلٍ عالى ، وعلى قبره جلالةٌ وهيبةٌ يُشرقُ كالكوكب المتلالي . وقبره كبير طويل ، فوقفنا ودعونا الله تعالى عنده ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . وجلسنا عنده تحت شجرة عظيمة من السنديان ، وجرت هناك منادمةٌ ومُصاحبةٌ بيننا وبين الاخوان . حتى ذكرناهم أننا سمعنا قبل ذلك الآن بأن في بلاد مصر يعملون من القمح دبسًا حلوًا . فتعجّب من ذلك كلّ مَنْ هناك كان . فأخبرنا بعضُ مَنْ كان في ذلك المحضر ، أنّه وجد في بلدة من بلاد الروم دبسًا يجعلونه من البطيخ الأخضر ، فيقشّرونه ثم يضعونه تحت المعصار ، ثم الذي يخرجُ منه يصير ٦٢آ دبسًا ، بعد أن يغلونه على النار . / وإنما أمكن ذلك لأن بطّيخهم بعلٌ وحلاوته شديدة ، فلأجل هذا كانت لعمل الدبس منها مفيدة .

[مقام الخضر]

وقد زرنا قريبًا منه مقام الخضر عليه السلام ، وهو مقام عظيم عليه جلالةٌ واحتشام .

[قرية الجزيرة ، وقبر الشيخ عديّ]

ثم توجّهنا الى جهة قرية الجزيرة وزرنا فيها قبر الشيخ عديّ من ذرية الشيخ عديّ ابن مسافر ذي الأحوال الشهيرة . وبتنا فيها في تلك الليلة .

---

(١) قوله « ومن لطف هذه النكتة ... الى : بالجمل » مضاف في هامش الأصل ب وبعده صح .

اليومُ الثاني عشَر

[قرية كفريا]

فلما أصبحنا يوم السبت، وهو اليوم الثاني عشر فاح فينا عَرْفُ البركات من جبل لبنان وانتشر. فتوجهنا الى المكان الذي يُقال له قلب جبل لبنان، حتى مررنا بقرية تسمى كَفَرَيّا، بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الراء وتشديد الياء بعدها ألف على ما هو المشهور.

قال في القاموس : كفريّة كطبريّة قرية بالشام . انتهى.

وأخبرنا بعضهم أن أصل اسمها كهف رَيّا ، وكانت كهفًا لنبيّ الله ريّا – بفتح الراء وتشديد الياء مفتوحة بعدها ألف – من أنبياء بني اسرائيل ، وهو مدفون هناك في ذيل ذلك الجبل ، وله قبرٌ طويل ، عظيم جليل .

وأخبرنا بعضهم أن اسمه أَرْيا – بهمزة مفتوحة / وراء ساكنة وتخفيف الياء بعدها ألف مقصورة .

فزرناه ووقفنا عند قبره ، ودعا كلّ منا في سرّه وجهره .

[قبر عبد الرحمن الرمثاني]

ثم صعدنا الى أعلا ذلك الجبل البعيد الداني ، وزرنا في قلبه المبارك قبر الشيخ عبد الرحمن الرمثاني – بفتح الراء وفتح الميم والثاء المثلثة ، بعدها ألفٌ ثم نون ، ويا النسبة – نسبة الى قرية في البقاع تسمى رمثانيّة . بتشديد[1] الياء التحتيّة .

وأخبرنا بعض أهل تلك القرية أنّ الشيخ رؤي في المنام فقال : أنا مكّي . فقالوا : يُشير الى أنه منسوب الى قرية بين مكّة والمدينة يُقال لها رَمْثَة ، بفتح الراء وسكون الميم وفتح الثاء المثلثة بعدها هاء – ٢

(١) قوله « بتشديد الياء التحتية » مضاف في هامش الأصل ، وبعده : صح .

(٢) في معجم البلدان : « رمته – بكسر الراء – ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة . » ٢ / ٨١٦.

وأخبرنا جماعةٌ من تلك القرية وغيرها في سبب تسميته بالرمثاني أنه من ذريّة الشيخ عديّ بن مسافر [١] رضي الله عنهما . وكان للشيخ عديٍّ المذكور تلميذ وقد حُبس في مصر بالقلعة . فاشتدّ عليه الحال . فنادى بالشيخ عديّ وتوجّه الى الاحتماء بسرّه النديّ ، فأخذ الشيخ سهمًا وضربه بالقلعة . فتلقّته ابنةُ الملك ، وكانت من الصالحات ، بقوة وسرعة . فأخذ الشيخ عبد الرحمن المذكور سهمًا / ورمى ثانيًا ، فأصاب تلك القلعة فسقط سورها ، وأُطلق ذلك الرجل الذي هو أسيرُها . فلأجل ذلك قيل له رمثاني لأنه رمى ثانيًا .

آ

وعلى قبر الشيخ عبد الرحمن المذكور أباريق كثيرة من الفخّار ، ينذرها من يمرّ عليه من أهل قرية عيثا خوفًا على أحمالهم من الانكسار . ولما قدم الجماعة معنا فتّشوا جميع تلك الأباريق ، فلم يجدوا فيها شيئًا من الماء يبلّ الريق وكان معنا رجلٌ اسمه عبد الرحمن ، فجاء الى عند الشيخ الرمثاني وقال له : إن كان اسمك على اسمي فاسقني شيئًا من الماء ، فإني عطشان . فنظر في بعض الأباريق التي عنده فوجد شيئًا من الماء فشربه ، وذلك من لطائف الاحسان .

وبلغنا أنه كان عنده بئرٌ يوجد دائمًا فيه الماء . فجاءت جماعة من الدروز ، وصادوا خنزيرًا فغسلوه في ذلك الماء وشووه [٢] وأكلوه . فغار منه ذلك الماء الذي كان فيه محروز ، ولم يوجد بعد ذلك ماءٌ في البئر . فحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

وأخبرنا خطيب تلك القرية ، قرية كفريّا أنه يجد في كثير من الأحيان ، في قلب جبل لبنان ، بالقرب / من الشيخ عبد الرحمن قبورًا جديدة لا يُعهد أنّ فيها دُفن إنسان ، فلعلّها قبور بعض من يموت من الصالحين الذين لهم سياحة في ذلك الجبل من العابدين الزاهدين .

ب

وأخبرنا ذلك الخطيب أيضًا وكان من أهل الصلاح والدين أنه ربما يصعد الى ذلك الجبل جبل لبنان فيزور ذلك المحل المدفون فيه الشيخ عبد الرحمن ، فيجد

(١) عديّ بن مسافر ، من شيوخ المتصوفة ، تنسب اليه الطائفة العدوية . توفي سنة ٥٥٧ هـ/١١٦٢ م . (الأعلام ٥ / ١١) .

(٢) قوله « وشوذه » مضاف في هامش الأصل ، وبعده : صح .

هناك جماعات من الصالحين يكلّمهم ولا يكلّمونه ، وينظرهم وينظرونه ، وهم فيه باهتون ؛ وعن كلامه ساكتون ، ويجد لهم هيبة واحتشامًا رجلالة واحترامًا ، وينصرف عنهم وهم على ذلك الحال . ولا شك أنهم من السادة أرباب الأحوال .

وذكر لنا أيضًا أن الشيخ عبد الله اليونيني رحمه الله تعالى المتقدّم ذكره زار حضرة الشيخ عبد الرحمن الفايح في هذا المقام نشره فقال له : يا شيخ عبد الرحمن مكانك هذا عظيم ! إلّا أنه ليس فيه ماء يُشرب للمسافر والمقيم . فأخذ الشيخ ابريقين ومدّ يديه بهما الى الوادي ، وملأهما من الماء وجاء بهما الى الشيخ عبدالله، فيا حسن تلك الأيادي .

آ وذكر لنا أيضًا أن الشيخ موسى الغُماري – بضم الغين المعجمة وفتح الميم والراء المهملة المكسورة – المغربي رحمه الله تعالى مدفون هناك . ورأينا قبره بالقرب من قبر الشيخ عبد الرحمن فتلك الحضرة بينهما بالاشتراك . وقد توفي الشيخ موسى المذكور في سنة تسعماية وتسعين أو قريبًا من ذلك من السنين .

وذكر لنا أيضًا أنّ / الشيخ موسى قال في مرضه لأهل القرية التي كان بها مريضًا من قرى البقاع : إن متّ فادفنوني عندكم . ثم إنه غلب عليه المرض فقرب من النزاع . فرأى الشيخ عبد الرحمن المذكور ومعه جماعة من الأولياء أصحاب الحضور . فقالوا له : إنك ضيفنا ، وإن لك عندنا مكانًا وهو هذا المكان . وقد أشاروا له الى موضع قبره الآن . فلما أفاق قال لهم : إذا متّ فادفنوني شمالي البئر الذي عند قبر الشيخ عبد الرحمن . وأعطى الذين يحملونه الى ذلك الموضع دينارَيْن من الذهب . فلما توفي غسلوه وكفّنوه وحملوه الى ذلك الجبل . وقد ادركتهم الهيبة والرهب . فسمعوا قائلًا يقول : لا تصلّوا عليه في هذا الوقت ، فتدرككم / ب الوحشةُ والمقت . يعني لتصلّي عليه الأولياء الصالحون ، وعباد الله المكرمون ، ثم بعد حصة صَلّوا عليه ودفنوه في القبر المشار اليه والله أعلم بما كان ويكون .

وقد وقفنا هناك ، ودعونا الله تعالى الذي أمرُه بين الكاف والنون . إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون .

[قبر السيدة مريم]

وقد زرنا هناك أيضًا في قلب جبل لبنان – بالقرب من قبر الرمثاني المذكور – قبر السيدة مريم بنت عمران . فوجدنا قبرًا عظيمًا عليه مهابة وجلالة . طوله نحو

الخمسة أذرع . وهو في أشرف حالة . فوقفنا عنده ، ودعونا الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين الحاضرين معنا والغائبين .

قال الهروي في الزيارات [١] : إن في بيت المقدس وادي جهنم وفيه قبر مريم أمّ عيسى عليهما السلام . ينزل اليه في ستٍ وثلاثين درجة . انتهى .

وفي باب الفراديس [٢] ، داخل دمشق ، عند باب المدينة قبر بين بيوت الدخلة التي تسمّى بالسادات يُقال إنه قبر مريم بنت عمران . ومما يؤيد القول الأول أنها في جبل لبنان ما رأيتُه مذكورًا في كتاب « غاية / الغايات في الأخبار والحكايات » آ للشيخ أبي زكريا يحيى بن الحسن الأزدويلي المؤدّب قال فيه ما ملخّصه : وعن وهب بن منبّه قال : وجدتُ في بعض الكتب أنّ عيسى بن مريم عليهما السلام قال لأمه : يا أمّاه ! إني وجدتُ مما علّمني ربي أن هذه الدار دار فناء ، وزوال ، ودار الآخرة هي الدار الباقية لا تخرب أبدًا . فتعالى يا أمّاه نأخذ من هذه الدار الفانية للدار الباقية . فانطلقا الى جبل لبنانٍ . فكانا يصومان النهار ويقومان الليل ، وكانا يأكلان من ورق الأشجار . ويشربان من ماء العيون والأمطار . فمكثا في ذلك زمانًا طويلًا ، ثم إن عيسى عليه السلام نزل ذات يوم من الجبل الى بطن الوادي لكي يلتقط البقول والحشيش لإفطارهما فهبط ملك الموت على مريم وهي معتكفة في محرابها . فقال : السلام عليك يا مريم ، الصائمة القائمة فغشى عليها من هَوْل ذلكْ .

ثم أفاقت ، فقالت : مَنْ أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا ملك الموت . فقالت : ألا تأذن لي حتى يرجع ولدي / عيسى ، عليه السلام فأتزوّد منه ومن ريحه ؟ قال ب يا مريم ! لم اؤمر بذلك . فقالت : سلّمتُ لأمر الله . فدنا منها وقبض روحها . فأبطأ عيسى في ذلك اليوم عن وقته ، ولم يأت حتى دخل وقت العشاء الأخيرة . فلما أتى ظنّ أنها نائمة حتى مضى ثلث الليل ، واستقبل المحراب ، ولم يفطر

(١) الزيارات ، ص ٢٨

(٢) أحد ابواب دمشق من الجهة الشمالية . انظر : المنجد ، دمشق القديمة : أسوارها ، ابراجها ، أبوابها . ص ٥٨ ، وللمؤلف نفسه : خطط دمشق
Sauvaget, *Monuments historiques de Damas*, p. 42.

إكرامًا لأمه . ثم جاء اليها فوجدها ميتة . فجعل عيسى عليه السلام يبكي ويقول : مَنْ لوحشتي ، ومن لأنسي وغربتي ! ثم نزل من الجبل الى قرية من قرى بني اسرائيل يُنادي بصوت حزين : السلام عليكم يا بني اسرائيل ! فخرجوا اليه حتى ذوات الخدور من خدورهن . وقالوا : مَنْ أنتَ يا عبد الله ؟ فقال : أنا رُوح الله عيسى بن مريم . إن أمي ماتت غريبة ، فأعينوني على غسلها وتكفينها ودفنها . فقالوا : يا روح الله إن هذا الجبل كثير الأفاعي والحيات ، لم تسلكه آباؤنا منذ ثلاثمائة سنة . فهذا الحنوط والكفن ، خُذْه . فولّى عيسى عليه السلام راجعًا . ولم يأخذ شيئًا . وأتى الجبل فرأى شابين جميلين ، فسلّم عليهما ، فردّا عليه السلام /. فقال لهما : إن أمّي ماتت غريبة في هذا الجبل ، فأعيناني على غسلها ودفنها . فصعدا معه الى الجبل فغسلها معهما ، وكفّنها وشق في الجبل شقًّا ، وجعل رأسها مما يلي القبلة التي كانوا يصلّون اليها . ثم ساق بقية القصّة بتمامها . آ

وفي « شرح الهمزية » للأبوصيري للشيخ ابن حجر الهيثمي رحمه الله قال : ولما رُفع عيسى عليه السلام الى السماء بقيت أمّه بعد ذلك خمس سنين أو ستًّا ، كما قاله الجلال السيوطي .

وقال أيضًا : ولما رُفع الى السماء تعلّقت به أمّه وبكت ، فقال لها إن القيامة تجمعنا . انتهى كلامه .

وهاذا يُناقض ما ذكرنا عن وَهْب بن مُنبِّه من القصّة المذكورة .

ويُمكن التوفيقُ بينهما بأن عيسى عليه السلام رُفع روحًا وجسمًا كما هو الظاهر من الأخبار . وبقيت أمّه في الحياة بعد رفعه تلك المدّة المسطورة . وكان يجتمع معها في جبل لبنان بروحانيته فقط المتشكّلة بصورة الجسمان كما هو مشهور من أحوال الأبدال في هذه الأمّة المحمّدية .

والقصّة محمولة على هذا الاجتماع الروحاني في هذه القضيّة .

وقوله / لها لما تعلّقتْ به وبكت : إنّ القيامة تجمعنا ، يعني بالاجتماع الروحاني والجسماني مثل حالة الرفع فلا شيء يمنعنا . ب

وأيضًا ليس في الكلام حصر يقتضي أن لا تجمعنا إلّا القيامة فيكون الظاهر من هذا كله أنّ قبرها هو الذي زرناه في جبل لبنان . والتمسنا منه البركة واللطف والإحسان .

[وادي الجوز]

ثم نزلنا من جبل لبنان الى وادي الجوز في أسفل الجبل مع الأصحاب والإخوان. وجلسنا هناك على عين ماءٍ صافيةٍ، وظلال من الصخر باردة ضافية. وكان معنا الهمام الكبير، صاحب القدر الخطير، ريحانة السرور، عيسى جوربجي المشهور بابن حيمور. فقلنا في ذلك من المواليا.

في قلب لبنانْ زرنا والـدهْ عيسى
مع الهمام الذي حاز العُلا عيسى
وسال بالخيل وادي الجوز بل عيسى
لونٌ له بجماعات حكتْ عِيسا

فالأول اسم النبيّ عليه السلام. والثاني اسم الهمام المذكور ذي الإكرام، والثالث فعل ماض مبني لما لم يُسَمَّ فاعله مثل قيل وبيع في الكلام، فقولنا عيسى لون له: أي صار لونه بياضًا في سواد. والرابع هي الإبل البيض / التي يُخالط بياضها شقرة، كناية عن بياض أفعال الأجواد.

[قرية بيت فار، وقبر الشيخ مسافر]

ثم صلينا الظهر في ذلك الوادي، وذهبنا الى حضرة سيدي الشيخ مُسافر رضي الله عنه في قرية تسمّى «بيت فار» عند الرائح والغادي. ولعل تسمية تلك القرية بذلك لأنها في ذيل جبل لبنان. وكان التنوّر قد فار منها في طوفان نوح عليه السلام في ذلك الزمان. قال الهرويّ في زياراته عند ذكره دمشق الشام: وقيل هي كانت دار نوح عليه السلام، وقيل التنوّر فار من جبل لبنان. والله أعلم. انتهى.

فوقفنا في حضرة الشيخ مُسافر رضي الله عنه عند باب قبته المرتفعة. وكان[1] البنّاؤن في ذلك الوقت يبيّضونها بالجصّ، وعندها الناسُ مجتمعة. فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى في السرّ والإعلان، للحاضرين والغائبين من الإخوان.

وقد ذُكر لنا أن الغنم والمعز إذا أصابها شيء من الأمراض يأتون بها الى ضريحه الشريف ذي النور الفيّاض، ويُديرونها حول ذلك الضريح من الخارج، فإنها /

(١) في جميع النسخ «وكانت».

تبرأ بإذن الله تعالى من غير مُعالج . والتي تقف قبالة الباب ، تكون للشيخ رضي الله عنه نذْرًا ينتفع بها الخُدّام والأحباب .

[قبر محمد المصمودي]

وفد زرنا في تلك القرية الشيخ محمد المصمودي رضي الله تعالى عنه ، ودعونا الله تعالى عنده ، ووالى علينا اللهُ تعالى إنعامَه ورفدَه .

[مغارة الشيخ مسافر]

وقد زرنا في تلك القرية أيضًا مغارة الشيخ مُسافر المذكور ، فحصل لنا كمال المسرّة والحضور . وعملنا هذه القصيدة اللبنانية والفريدة الاحسانية ، وهي قولنا :

قُضِيَتْ لُبــاناتي عــلى لُبْنان   ونَعِمْتُ لا بالسفح من نُعمانِ
وشهدتُه جسدًا زَكَتْ أرواحُه   بلطيف ريح القُـرْب والريحان
وحضرتُه والقلبُ منه مُشَعْشِعٌ   ورأيتُه جَبَلًا لـه عينـان
عينٌ تسمّى عينُ عابدٍ ٱلتي   تجري بماءٍ فوق حبّ جُمـان
فكأننـا من ظلّها في جوسقٍ   حُفّتْ جوانبُـه بطيبِ جنـانِ
وكذاك عينُ الصالحين فإنهـا   عينٌ مباركـةٌ مـدى الأزمانِ
وبسفحه لِلْياسَ قبرٌ أشرقتْ   أرجاؤه وازداد في اللمعـانِ
وعليـه سِرٌ ظـاهر ومهابـةٌ   تهدي القلوبَ الى طريق عيانِ
وكذاك داود النبيّ ضريحـه   في ذلك السفح العظيم الشان /
وهناك كم من قبرِ شهمٍ عارف   لا سيّما راعي الحمى شيبـانِ
بل كم من نبيّ قد توسّد تُرْبَه   بين الصخور مُطيّبِ الأكفانِ
ولمريم العذراء قبرٌ فيه قَدْ   زرناه بالإجـلال والإذعـانِ
والعبدُ للرحمن مَنْ سَعُدَتْ به   تلك الجوانب ذلك الرمشـاني
ومسافرٌ هو والدٌ لعديٍّ مَنْ   قـد خُصّ بالأسرارِ والبرهـانِ
لا زال جودُ الله تغدقُ سحبُـه   باللطف ، من عَفْوٍ ومن غُفْرانِ
أبدًا على تلك القبورِ جميعها   ما ناحت الأطيارُ في الأغصانِ
ومَشَتْ على تلك الرياضِ نسائمٌ   مبلولـةُ الأذيـالِ بالغـدرانِ

[قرية جب جنين] – [قبر العباس بن مرداس]

ثم ذهبنا الى جهة قرية جب جنين[1] ، فزرنا في الطريق قبر العباس بن مرداس الصحابي ذي الهُدى والدين . ووقفنا عنده ساعة من الحين . ودعونا الله تعالى لإخواننا الحاضرين والغائبين .

ثم بتنا في القرية المذكورة تلك الليلة .

(١) تقع اليوم في قضاء البقاع الغربي . ترتفع عن البحر ٩٥٠ م ، تبعد عن بيروت ١٧ ك م. انظر : مرهج ، اعزف لبنان . ، وفريحة ، اسماء المدن ص ٨٧ .Dussaud, *Topographie,* p. 406

اليومُ الثالث عشر

[قبر ابراهيم الدسوقي]

فلما أصبحنا يوم الأحد ، وهو اليوم الثالث عشر ، وقد تفيّأنا ظلّه ومقيله ، زرنا في تلك القرية الشيخ ابراهيم من مشايخ الطريقة الدسوقية ، والسيدة آسية وأخيها الشيخ محمد ، وبقيّة تلك القبور النورانية .

[زاوية الأشراف في جب جنين]

ب وذهبنا الى زاوية / الأشراف خارج تلك القرية ، فعمل لنا مديحًا صاحبُ تلك الزاوية بأبيات ، وهو رجلٌ من الصالحين بلا مرية ، واسمه كمال الدين ، وفي دينه كمالُ الدين ، وأبياتُه هذه تدلُّ على صلاحه ، فأبقينا على ما هي عليه تبرّكًا به . وقلنا صلاحُه لها عين إصلاحه . وهي قولُه :

أخصَبَتْ أرضُنا بعـد مَحْلٍ ... وأنْبتَتْ كل قَضْبٍ وأكْـلِ
وترنّـم الطيرُ لمّـا أتـاها ... مَنْ طاب ، أيّ أصلٍ وفضْلِ
وانكشفت ظلماؤهـا فاهتدينا ... لطريق الهُـدى فعـمَّ الكُـلَّ
واستغْنَتْ قلوبنـا بعبـد غنيٍّ ... فأصابهـا بذلك وابـلُ طـلِّ
واكتمل السرورُ بـه لكمالٍ ... وعـمَّ كـلّ فـرعٍ وأصـلِ
وارتفـع كـلُّ منخفضٍ لبأسه ... قـدمٌ لـه بظـاهرِ نَعْـلِ
واكتمـل العـزُّ لبقـاعٍ عزيزٍ ... من بعد أن كان ناقصًا في الأصلِ
وقد صار مكاني هـذا حَرَمًا ... وقبـل ذا كان شبيه الحِـلِّ
وصلاةُ الله مـدى الأيـام ... على أشرف مبعوث مـن الرُسْلِ
وعلى الآل مـع الأصحابِ ما ... سار السائـرُ في السُبـلِ

فقبلنا هذا الشيء الذي هو من كماله مقطوف ، وليس بنظم معروف ، ولا نثر

آ موصوف ، وقلنا فيه على البديهة ، حيثلم نجد شبيهه : /

شيءٌ له معنًى أتـانا بـه كمـالُ ديـنٍ فـروى حاصله
إنْ لم يكن نظمًا مُقفًّى أتى فإنـه سجـعٌ له فـاصله

[قرية كامد اللوز] – [قبر عبدالله بن مسعود]

ثم سرنا فمررنا في الطريق على قرية تسمّى كامد اللوز [1] . وزرنا هناك قبرًا يُقال إنه قبر عبدالله بن مسعود . ويُقال إنّ اسمه الشيخ مُجاهد ، وعلى كلّ حال فهو من أهل الصلاح والفوز .

فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى بما شاء الله من الأدعية سرًّا وجهرًا .

[قبر يونس التغلبي]

وزرنا قريبًا منه أيضًا قبر الشيخ يونس التغلبي ، عليه رحمة من الله تعالى تترى .

[عين عزّة]

ثم سرنا الى أن وصلنا الى عين عَزّة – بفتح العين المهملة – فوقفنا هناك نشرب ونسقي الدواب ، بنفسٍ الى المسير مستفزّة . فبينا نحن كذلك إذ قدم علينا في ذلك المحلّ رجلٌ من الأشراف الأعِزّة ، فسلّم علينا ، وسألناه عن اسمه فقال السيد أحمد من آل عزّ الدين . فتفاءلنا بهذا الفال الأحمد . ثم إنه دعا لنا ، فقال من جملة دعائه : زاد الله معناكم معنى . وهذا الذي حفظناه من عباراته بلفظة الأسنى .

[قبر يعقوب المنصوري]

ثمّ سِرْنا حتى صعدنا الى / حضرة مولاي يعقوب المنصوري عليه الرحمة والرضوان . وهو في جبل عالٍ ، وهناك قرية وجدنا فيها جماعة من الإخوان . فزرنا ضريحه المبارك ، ودعونا عنده الله تعالى وتبارك .

---

(١) تقع اليوم في قضاء البقاع الغربي . في شرق جب جنين . ترتفع عن البحر ٩٢٥ م. تبعد عن بيروت ٨٠ ك م. انظر : مرهج ، اعرف لبنان ؛ وفريحة ، أسماء المدن ص ٢٧٧ و Dussaud, *Topographie*, pp. 397-399.

وقلنا في تلك الزيارة ، مشيرين الى ما في ضمن تلك النسبة الشريفة من الإشارة ، وهو من الدوبيت :

مَنْ نافخُ صورِنا بنا مَنْ صُوري
ذا حافظُنا بعسكرٍ منصوري
والله لقد نلنا المنى أجمعُنا
في زَوْرَتنا يعقوبًا المنصوري

ثم جلسنا في تلك القرية تحت شجرة كبيرة من السنديان ، منسوبة الى الشيخ يعقوب المذكور عليه الرحمة والرضوان ، وغلظها مقدار ثلاثين شبرًا ، وهي قدر الشجرة التي وجدناها عند نبيّ الله زريق ، الذي قدّمنا له ذكرًا . فمكثنا عند تلك الشجرة وقد صلّينا الظهر . فأنشدنا بعض الحاضرين أبياتًا منسوبة الى الوليّ العارف بالله الشيخ ابراهيم الدسوقي المصري ، قدّس الله روحه ، وَوَالى عليه أنواع الطهر . وقد أنشدها متغيّرة اللفظ والمعنى ، ملحونة الوزن والمبنى . ثم طلب منا تخميسها في ذلك المكان . فأصلحناها على حسب القانون / الشعري ومقتضى الميزان . ثم خمّسناها على البديهة بمقتضى فتح الكريم الرحمن ، حيث قلنا [1] : آ

لقد نظرتْ قدمٌ بطرفٍ لهم قَذي
فلم يشهدوا إلّا حجابَ جمالِ ذي
وقومٌ لقد شمّوا شذا روضها الشذي
يقولون لي ما العلم ، ما السر ، ما الذي
هو الجوهر الغالي ، عن البحر خَبِّرنا

عليْ صحبنا غنّتْ فصاحَ طيورُنا وذاتُ المحيّا [2] أشرقَتْ في صدورنا
تجلّت علينا تنجلي فوق طورنا فقلتُ لهم هاذي مطالعُ نورنا
ومغربُها فينا ومشرقُها منّا

(١) انظر ديوان الحقائق ص ١٣٨

(٢) في الديوان « الحميا » .

الى حضرات الحقّ كان ارتفاعُنا ومنّا، لقد مُدّتْ الى الغيْب باعُنا
وفي أزلِ الآزال زاد انتفاعُنا على الدرّة البيضاءِ كان اجتماعُنا
ومن قبل خلْق الخَلْق والعرش قد كنّا

سماءُ غيوبِ الذاتِ تُمْطِرُ ماءنا ومَنْ حُطَّ قَدْرًا كيف يدري سماءنا
ولمّا استرحْنا واَطّرحْنا عناءنا تركنا البحارَ الزاخراتِ وراءنا
فمن أين تدري الناس أين توجّهنا

كشفنا عن الوجهِ الجميلِ غَياهبًا وقد صار منّا السرّ للكلّ ناهبا
ومن حضرة الرحمن نلنا مواهبا ألا لَقَوْمي قد قرأتم مذاهبا
ولم تدروا يا قومي رموزَ مذاهبْنا /

فوائدكم أضحت قيودَ رهيفنا وعنكم لقد أُخفي مقامُ أميننا
ويا علماءَ الرسمِ هَلْ مِن مُعيننا مذاهبُكم نرفو بها بَعْضَ ديننا
ومذهبنا عُمِّيعليكم وما قُلنا .

ثم أنشد هذا التخميس في حضرة الشيخ يعقوب المنصوري ، رحمه الله ، بالألحان ، فحصل للحاضرين في تلك الحضرة كمال الخشوع والإذعان . ثم إنا دعونا الله تعالى هُناك . وخرجنا من تلك القرية نريد الذهاب الى قرية حَمّارة – بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم – فوصلنا اليها قُرْبَ المغرب ، وقد أنزلنا فيها بعضُ المحبّين دارَه . وأحسن لنا الضيافة وأكرم مثوانا وزاد إتحافه .

وقد أخبرنا رجل في هذه القرية المذكورة أنه رأى ببلاد حمص رجلًا طويل اللحية جدًا . وقد صار بها غريبَ الصورة ، حتى إنّ لحيته إذا كان واقفًا تصل الى أصابع قَدَميْه . وصدّقه على ذلك بعضُ أهل القرية . وذكر أنه كان سابقًا وَرَدَ عليه . فبتنا فيها تلك الليلة .

اليوم الرابع عشر

[قرية عيثا الفخّار]

وأصبحنا يوم الاثنين ، وهو اليوم الرابع عشر ، بلا شكّ ولا مَيْن . فركبنا وسرنا بالعِزّ والفخار ، حتى مررنا على قرية عَيْثا[١] / – بفتح العين وسكون الياء ، وفتح المثلّثة ، مقصورًا . فتفرّجنا فيها على مطابخ الفخّار .

آ

[عين ينطا]

ثم مررنا على عين ينطا – بفتح الياء التحتيّة وسكون النون والطاء المهملة المفتوحة – بعدها الف مقصورة .

[عين ميسلون]

ثم مررنا بعد ذلك على عين مَيْسلون ، فوقفنا عندها حصّة ، وشربنا من مائها العذب وقرّت بها منّا العيون .

[قرية الديماس]

ثم سرنا حتى نزلنا بقرية الديماس ، فلم نجد فيها أحدًا يُقال عنه إنه من الناس . وكان هناك حرٌّ شديد فكأنّنا حقيقة في الديماس .

[قرية دير مُقرِّن]

ثم سرنا فمررنا في الطريق على قرية دير مُقَرِّن[٢] – بضم الميم وفتح القاف وكسر

(١) تقع اليوم في قضاء راشيّا . ترتفع عن البحر ١٢٥٠ م. تبعد عن بيروت ٧٠ ك م. وهي في شرق كامد اللوز والبيره والسلطان يعقوب . انظر : مرهج ، اعرف لبنان .

(٢) انظر وصفي زكريا ، الريف السوري ٢ – ٣٥٣ ،

الراء مشدّدة – وفي آخره نون – فزرنا فيها الشيخ هلال ، ودعونا الله تعالى أنّ كلّ صعب علينا يهون .

[عين الفيجة]

فلم نزل سائرين الى أن وصلنا الى قرية عين الفيجة[1] ، وأكثرنا على العين تنزهّها وعلى القلب تفريحه . وفي ذلك نقول ، وقد نفضنا كواهلنا من وَعْثاء السفر وأنضيْنا الرحول :

رحلتي للبقـــاع ذاتُ ابتهـــاجٍ حيثُ فيها الثوابُ كان نتيجَـــهْ
فابتدأنــــا بقريـــةِ الزَّبَـــداني واختتمنا بروْض عَيْن الفيجــهْ /

وقلنا كذلك وقد رأينا فيها مجمع النَهْرَيْن ، وحسن تلك المسالك :

قرية الفيجة التي عَيْنُها مَــعْ بردى للعليـــل أيّ عـــلاجِ
قد رأينا آمتزاجَ نهريْن فيهـــا وشهدنـــا لطيفَ ذاك المـــزاجِ

وقلنا أيضًا :

بقريـــةِ الفيجـــةِ التي هجمتْ لنــــا المسرّاتُ غير مُنْقرِضَهْ
مجلسنـــا النهر ، فيه مُنْبَسَطٌ فكيف تبقـــى القلوبُ مُنْقَبِضَهْ

وكذلك قلنا في هذا المعنى :

مـــا الفيجةُ العليـــاءُ إلّا جنّـــةٌ فيهـــا القلوبُ تهيمُ والأبصارُ
ولذا القطوفُ الدانياتُ بَـــدَتْ ولـــذا جرتْ من تحتها الأنهارُ
ولذا أتانا الرزقُ فيها بُكـــرةً وعشيةً سمحتْ بـــه الأقـــدارُ
لا عيبَ فيهـــا غير أنّ نسيمَها عنهـــا ينمٌّ وماؤهـــا هَـــدّارُ
وغصونُها فيهـــا تميلُ مع الهوى حتى عليهـــا ضجّت الأطيـــارُ

وقلنا أيضًا من المواليا :

لله يـــوم أتينـــا قريـــة الفيجـــهْ
وادي دمشق الذي كم فيه تفريجهْ

(١) انظر عنها بالتفصيل ، وصفي زكريا ، الريف السوري ٢ – ٣٣٠ ؛ Dussaud, *Topographie*, pp. 290-291.

وقـــد ركبنـــا متون الخيل مسروجه
والوقت كاساته بـــالأنس ممزوجه

٤٧ آ ولابراهيم چلبي المذكور سابقًا ، في هذا المعنى الذي صار اليه متسابقًا :
لما أتينا الوادي قريـــة الفيجـــهْ
على خيولٍ ليوم الحربِ مسروجه
دارتْ علينا كؤوس العزّ ممزوجه
وقلت للقلب أبْشر فهي مفروجه

وقال أيضًا على البديهة ، وطلب منا شبيهة ، وذلك قوله :
نحن في جنّـــة عَـدْنٍ
تحتهـــا الأنهـــارُ تجري

فقلنا بعده :
حين جئنـــا قريـــة الـ
فيجـــة في سَيْرٍ وأجـــرِ
فسلامٌ هـــي حتـــى
في الورى مطلـــعِ فجرِ

اليوم الخامس عشر

[قبر بنات نميس]

ثم بِتْنا تلك الليلة في القرية المذكورة .

وأصبحنا نرتقي في معارج السرور طُورَه ، وهو يوم الثلاثاء اليوم الخامس عشر ، وقد تمت به رحلتُنا . ومنها عَرْفُ الكمالِ انتشر . فركبنا وخرجنا نزور في تلك القرية قبرًا يُقال إنه قبر بنات نُمَيْس ، - بضم النون وفتح الميم وسكون الياء - وهو ابن شيث النبي عليه السلام ، ذي الفطانة والكيس .

[صالحية دمشق]

ثم سرنا حتى وصلنا الى صالحية دمشق الشام ، وقصدنا مزار الشيخ يوسف والشيخ محمود ، محطّ رِحال الإجلال والإكرام . فنزلنا هناك ، وجلسنا / حصّة من الزمان ، مع مَنْ كان معنا من الاخوان .

ثم ركبنا فزرنا حضرة الشيخ الأكبرمحيـي الدين ابن العربي قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه .

ثم سرنا حتى ختمنا ذلك بزيارة حضرة الشيخ أرْسلان ، عليه الرحمة والغفران . ودعونا الله تعالى لجميع إخواننا الحاضرين والغائبين بطريق العموم وطريق الخصوص في كل انسان .

ثم ختمنا هذه الرحلة المباركة ، والسفر الميمون الذي مشينا فيه إن شاء الله تعالى على أجنحة الملائكة بزيارتنا أخانا في الله الجناب الكبير ، والمقام الخطير ، حضرة ابراهيم آغا ، أعزّه الله تعالى ، في الدنيا والآخرة ، وألبسه حلّة القبول في الدارين ، وألزمه من الإقبال بالسيرة الفاخرة ، ودعونا الله تعالى عنده له وللحاضرين والغائبين ، من جميع الأصحاب والمحبينَ .

وعملنا بعد ذلك هذه الأبيات ، العابثة بأذيال النفوس الأبيّات :

رِحلةٌ أسفرتْ عن ٱلاجتماعِ   بـالمحبّين في أراضي البقـــاعِ
وحَبَتْنـــا مــن قُرْبهم بكــرامٍ   أهــلِ جودٍ وفي الوغى كالسباعِ
وأرتْنـــا ببعلبكَّ وُجوهًـــا   قد شغفنا منهم بحسن المساعي / آ
ولنـــا صحبةٌ بهم من قديمٍ   لــم تُشَنْ بــالزوال والاندفــاع[١]
ونعمنـــــا بقبرِ كــلِّ نبــيٍّ   وَوَليٍّ كــالكوكبِ اللمّـــاعِ
وحصلنـــا عــلى التبرُّكِ منهم   فوق ما في العيونِ والأسماعِ
وتجلّتْ من داخل الحُجْب سلمى   ساعــةَ الملتقــى بغيرِ قِنــاعِ
ولنــا بالحضور كم طاب وقتٌ   فوق ما عندنــا من الأطمــاعِ
ودَعَوْنـــــا الإلــه سِرًّا وجَهْـرًا   ولقـــد فــاز بالإجابــة داعي
وامتــلأنــا مــن الثواب وكانت   شمسُ نور القلوب ذاتَ شعاعِ
واستلذّتْ نفوسُنــا بمُناهـــا   وانطربْنــا مــن الغنــا والسماعِ
وأتينـــا حـــدايقًا وريـــاضًا   هُنّ للبَسْط والسرورِ دواعـــي
وشمَمْنـــا مــن الرُّبا نسماتٍ   بَثّتِ الشوقَ في رقيقِ الطبــاعِ
وشربنـــا مـــن الميــاه زُلالًا   سائغًا شافيًا مـــن الأوجـــاعِ
كم صعدنــا عــلى جبالٍ عوالٍ   قارَبَتْهـــــا السماءُ بالارتفاعِ
ونزلنـــا الوهـــادَ فــاشتملتْنــا   كاشتمال الغـــذا بطونَ الجيــاعِ
وعيـــون الميـــاه بين صخورٍ   كميـــاه العيــون في الانفجاعِ
وجـــرتْ في مروجهـــا أنهـــارٌ   لأَستقـــــاء الــدواب والزُرّاعِ
والذي في النعيم فـــارغُ بـالٍ   لا يُبالي أرّخ **وضيف البقـــاعِ**

١١٠٠ هـ

وذلك في سنة ماية وألف من الهجرة النبوية على فاعلها / أكمل صلاة وأشرفُ تحية . ب

(١) كذا في الأصل ب . وفي ظ ١، ٢ « الانتفاع » .

وقد كتب لنا ابراهيم چلبي المذكور سابقًا هذه الأبيات من نظامه على مقتضى ما وردَ به واردُ إكرامه ، وذلك قوله :

بالبقـاع الهنـا بدا   ولنـا اللهُ أنْجـدا
وصفـا وَقتُنـا وقد   رَقَّ خَتْمًـا ومبتـدا
سيرُنـا كان مُغنيًا   أرِّخـوا **بـالغنى بدا**
وبشيرٍ لنـا أتى   بيننـا يُعلن النِـدا
عنـد قبْرٍ مُعَظَّـمٍ   قد حوى الياس سيّدا
منبئٌ أنّـه رأى   نَجْـلَ مجـدٍ مُحمّدا
قـد أتى في سلامـة   طاب أصلًا ومولـدا
لإمـامِ الهدى الذي   كلُّ ضالٍّ به اهتدى
هو عبدُ الغنيّ مَـنْ   قـد أتانا مُجدِّدا
مَنْ يُضاهيه في العلى؟   كلُّ شهمٍ له فِـدا
لبسَ المجدَ حُلّـةً   عن أبيه ، ومـا اعتدا
صاحب الجاه مَنْ له   سطوةُ الحـال سَرْمدا
شاع في الغرب ذكرُه   ومن الشرقِ قد بـدا
كم له من كرامـةٍ   حـلَّ فيهـا المعَقّدا /
قـد رأينـا شموسَه   أشرقتْ فانجلى الصدا
لُـذْ بعـالي جنابـه   إنْ تَرُم تقهر العِـدا
وتمسّكْ بحبلـهِ   فترى خَيْرًا ذا غـدا
دام بالعـزّ سالمًا   ولـه اللهُ أيّـدا
مـا تغنّى المشوقُ مِن   ألـم الشوق مُنْشدا
وتـلا مـن نظـامه   بالبقـاع الهنـا بدا .

وإلاهُنا ، أوصَلَنا في الكلام الى هُنا . فانتهى بنا وارد الانسجام ، ورائد اللطائف بطرائق المقام ، في هذه الرحلة المشتملة على النثر والنظام ، مع ما في أثناء ذلك من عجائب المجون ، والمعاني الغزلية التي هي أرقُّ من سحر العيون ، واللهو

المُطْرب . واللفظ المُعْرب ، عن المعنى المُغْرب . ولله دَرُّ القائل الأوّل ، الذي على قوله هذا في الحقيقة المُعَوّل :

ولا تكُ باللاهي عن اللهو جُمْلَـةً   فَهَزْلُ الملاهي جدُّ نفْسٍ مُجِدّة

فإن الكلّ مخلوقٌ بالحق ، جتى اللعب واللهو ، والخطأ والسهو . والله اللطيف الخبير ، العليُّ الكبير .

ب وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد البشير النذير ، وعلى آله / وأصحابه وتابعيه وأنصاره وأحزابه ، ما توالى الجديدان وكرّ الملوان .

وقد[1] فرغنا من التحرير بمعونة الرب القدير ، ليلة الأربعاء العشرين من ذي الحجة سنة ماية وألف بالخير .

والحمد لله رب العالمين

وقد فرغتُ من كتابة هذه الرحلة الشريفة ، المعظمة المنيفة في يوم الجمعة السابع من شهر محرم الحروم افتتاح سنة إحدى وماية وألف من هجرة الهادي عليه أكمل الصلاة والسلام . أحسن الله كمالها بالخير بجاه محمد صلّى الله عليه وسلم . وذلك بحضرة الصحابي الجليل سيدي سعد بن عبادة . وحصل لنا في ذلك المكان الحسنى وزيادة ، على يد العبد الفقير ، والعاجز الحقير ، محمد بن ابراهيم بن محمد الدكدكجي الحنفي ، سلك الله به وبإخوانه مسالك اوليائه المحبّين المحبوبين ، وأدخله في زمرتهم وسِلْكِهم بجاه سيّد المرسلين ، مُصلّيا ومُسلِّما على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تسليما .

والحمد لله ربِّ العالمين ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوّة الا بالله العظيم

آ تم /

(١) في ظ ١ ، « قال سيدنا المصنف نفعنا الله به » ، ظ ٢ : « قال المصنف نفعنا الله به والمسلمين » .

١ – أسماء الكتب المذكورة في نص الرحلة

ابن حجر الهيثمي ، شرح الهمزية للأبوصيري
ابن خطيب الناصرية ، المنتقى من تذكرة النبيه في أيام الناصر وبنيه
ابن خَلكان، وفيات الأعيان. سمّاه «تاريخ ابن خلكان»
ابن السمعاني ، الأنساب
ابو شامة ، الذيل على الروضتَيْن
ابو نُعَيْم ، حلية الأولياء
البوريني ، المنازل الأنسية في الرحلة الطرابلسية
الحموي ، **ياقوت** : المشترك وضعًا
السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة
الفيروزآبادي ، القاموس
القرطبي ، التفسير
المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر المنتخب
النابلسي، اسماعيل (جدّ الشيخ)، حاشية على تفسير البيضاوي
الهَروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات
مناقب الشيخ عبدالله اليونيني. لم يذكر مؤلفه

٢ – مصادر التحقيق والتعليق والمقدّمة

أ – المخطوطات

البكري، **مصطفى** : الفتح الطريّ الجنيّ في بعض مآثر شيخنا عبدالغنيّ
البيتماني، **حسين** : المشرب الهنيّ القُدسي في كرامات الشيخ عبد الغني النابلسي

العجلوني، اسماعيل: حِلْية أهل الفضل والكمال ، باتصال الأسانيد بكُمَّل الرجال . ((مخطوط في خزانتنا)

الغزّي، شمس الدين: لطائف المنّة في فوائد خدمة السُنّة
(مخطوطة جامعة برنستون – Yah. 2424)

الغزّي، محمد كمال الدين: الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله سيدي الشيخ عبدالغني النابلسي
(مخطوطة جامعة بيروت الاميركية، رقم ٧٥٢)

المنيني، أحمد: القول السديد في اتصال الأسانيد
(مخطوطة دار الكتب المصرية، رقم ٤٥٨)

النابلسي ، عبد الغني: الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود
(مخطوطة الظاهرية ، ٣٦٧١ (٧٨)

٢ً – المطبوعات العربية

ابن جمعة، محمد: الباشات والقُضاة. في «ولاة دمشق في العهد العثماني»، تحقيق صلاح الدين المنجد. دمشق ١٩٤٩.

ابن الجهم، علي: ديوان شعره، تحقيق خليل مردم بك، دمشق ١٩٤٩

ابن خرداذبه: المسالك والممالك. تحقيق دخويه، ليدن ١٨٨٩

ابن خلكان: وفيات الأعيان. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٤٨

ابن السمعاني: الأنساب

ابن شاشو، عبد الرحمن: تراجم بعض أعيان دمشق. بيروت ١٨٨٦م

ابن طولون، محمد، القلائد الجوهرية، دمشق ١٩٤٩ – ١٩٥٦

ابن الفقيه: كتاب البلدان

ابو حامد الأندلسي: تحفة الألباب ونخبة الإعجاب. تحقيق غابرييل فرّاند، باريس، ١٩٢٥

أبو شامة: ذيل الروضتين. نشرة عزت العطّار. القاهرة، ١٩٤٧

ابو الفداء، اسماعيل: تقويم البلدان. تحقيق رينود، والبارون ديسلان، باريس ١٨٤٠م.

البكري، عبدالله: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق مصطفى السقا. القاهرة ١٩٤٥

البوريني، حسن: تراجم الأعيان من أبناء الزمان. تحقيق صلاح الدين المنجد. دمشق ١٩٥٩.

تقي الدين الحصني ، محمد اديب: منتخبات التواريخ لدمشق. دمشق ١٩٢٨

الجبرتي ، عبد الرحمن : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تحقيق حسن محمد جوهر ، القاهرة ، ١٩٥٨ ...
الخالدي : تاريخ الأمير فخر الدين المعني . تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ١٩٦٣
الخياري ، ابراهيم : تحفة الأدباء وسلوة الغرباء . تحقيق رجاء السامرائي ، بغداد ١٩٦٩
دهمان ، محمد أحمد : مخطط الصالحية . دمشق ١٩٤٧
الزركلي ، خير الدين : الأعلام . ط ٢ . القاهرة ، ١٣٧٨ هـ
زكريا ، وصفي : الريف السوري ، جزءآن . دمشق ١٩٥٥
زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية ، بيروت ، دار الحياة ١٩٦٧
المعلوف ، عيسى اسكندر : تاريخ الأمير فخر الدين المعني . بيروت ١٩٦٩
المقدسي ، محمد : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . تحقيق دخويه . ليدن ١٩٠٦
المقريزي ، احمد : السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق محمد مصطفى زيادة . القاهرة ١٩٣٤ وما بعدها .
المنجد ، صلاح الدين : خطط دمشق . بيروت ١٩٤٩
المنجد ، صلاح الدين : المؤرخون الدمشقيّون في العهد العثماني . بيروت ١٩٦٤
المنجد ، صلاح الدين : معجم المخطوطات المطبوعة ٤ أجزاء ، بيروت (دار الكتاب الجديد) .
النابلسي ، عبد الغني : ديوان الحقائق . بولاق ١٢٧٠ هـ
النابلسي ، عبد الغني : التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية . تحقيق هربرت بوسّه . بيروت ١٩٧١
النبهاني ، يوسف : جامع كرامات الأولياء . تحقيق ابراهيم عطوة عوض . القاهرة ، ١٩٦٢
الهروي : الإشارات الى معرفة الزيارات . تحقيق جانين سورديل طومين . دمشق ١٩٥٣
ياقوت الحموي : معجم البلدان . تحقيق فرديناند وستنفلد . ليبزيغ ١٨٦٦
ياقوت الحموي : المشترك وضعًا والمفترق صقعا . تحقيق ف . وستنفلد . غوطا ١٨٤٦ م .
سركيس ، يوسف اليان : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة . مصر ١٩٢٨
الشدياق ، طنّوس : أخبار الأعيان في جبل لبنان . بيروت ١٨٥٩ .
الشهابي ، حيدر : الغرر الحسان في تواريخ الزمان . مصر ١٩٠٠
شيخ الربوة ، محمد : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . تحقيق مهرن . ليبزيغ ١٩٢٣
طلس ، أسعد : ذيل ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبدالهادي . بيروت ١٩٤٣
العدوي ، محمود : الزيارات بدمشق . تحقيق صلاح الدين المنجد . دمشق ١٩٥٦
العش ، يوسف : فهرس التاريخ في الظاهرية . دمشق ١٩٤٧
العظم ، جميل : عقود الجوهر فيمن له في التراجم خمسون مصنَفًا فئة فأكثر . بيروت ١٣٢٦ هـ .
فريحة ، انيس : أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها . بيروت ١٩٥٦
القزويني ، زكريا : آثار البلاد وأخبار العباد . بيروت (صادر) ١٩٦٠

الكتاني، محمد عبد الحي : فهرس الفهارس والأثبات. فاس ١٣٤٧
كحالة، عمر رضا : معجم المؤلفين. دمشق ١٩٥٧ وما بعدها
كراتشكوفسكي، اغناطيوس : تاريخ الأدب الجغرافي . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . القاهرة ١٩٦٥
كردعلي، محمد : غوطة دمشق. دمشق ١٩٤٩
المحبي، محمد الأمين: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. مط الوهبية بمصر ١٢٨٤ هـ.
المحبي ، محمد الأمين: ذيل نفحة الريحانه . تحقيق عبد الفتاح حلو. القاهرة ١٩٧١
المرادي، محمد خليل : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. الآستانة ١٢٩١ وبولاق ١٣٠١
مرهج ، اعرف لبنان. بيروت .

٣ً– المصادر الاستشراقية :

BROCKELMANN, CARL: *Geschichte der arabischen Litteratur*. 2., den Supplementbänden angepaßte Aufl. Bd. 1.2. Nebst Supplementbd., 1-3. Leiden 1937-1949.

COLLART, PAUL - CHEHAB, MAURICE - et DILLON, ARMANDO: *Livan. Aménagement de la ville de Tripoli et du site de Baalbek*. Unesco, Musées et Monuments VI, Paris 1953.

DE MONCONY: *Voyages de Monsieur De Moncony*. Lyon 1665.

MAUNDRELL, HENRI: *A Journey from Aleppo to Jerusalem at Easter 1697*. Oxford 1740.

WIEGAND, THEODOR: *Baalbek (1899-1905)*. Berlin/Leipzig 1921.

WOOD, ROBERT: *The ruins of Baalbec, otherwise Heliopolis in Coelesyria*. London 1921.

٣ – فهرس الاعلام

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

-غ-

- ف، ڤ -

-ق-

-ك-

— و —

— ي —

٤ – الفهرس الجغرافي والطبوغرافي

للبلدان والمدن – والقرى والبقاع – والجوامع والمساجد والقباب والنائر – والمدارس والزوايا – والأسواق والأزقة والحارات والدور والأبواب – والقِلاع – والبيمارستانات – والحمّامات – والجبال – والبساتين – والعيون والأنهار – والأودية والمغائر – والقبور والمزارات.

١ – البلدان والمدن

٢ – القُرى والأرباض والبِقاع

٣ – الجوامع والمساجد والقِباب والمنائر

٤ – المدارس والزوايا والآثار

٥ – الأبواب والأسواق والأزقّة والحارات والدور

٦ – القِلاع

٧ – البيمارستانات والحمّامات

٨ – الجِبال

٩ – البساتين

١٠ – العيون والأنهار

١١ – الأودية والمغائر

١٢ – القبور والمزارات

٥. فهرس الموضوعات والمضامين

تمهيد : ترجمة جديدة للنابلسي :

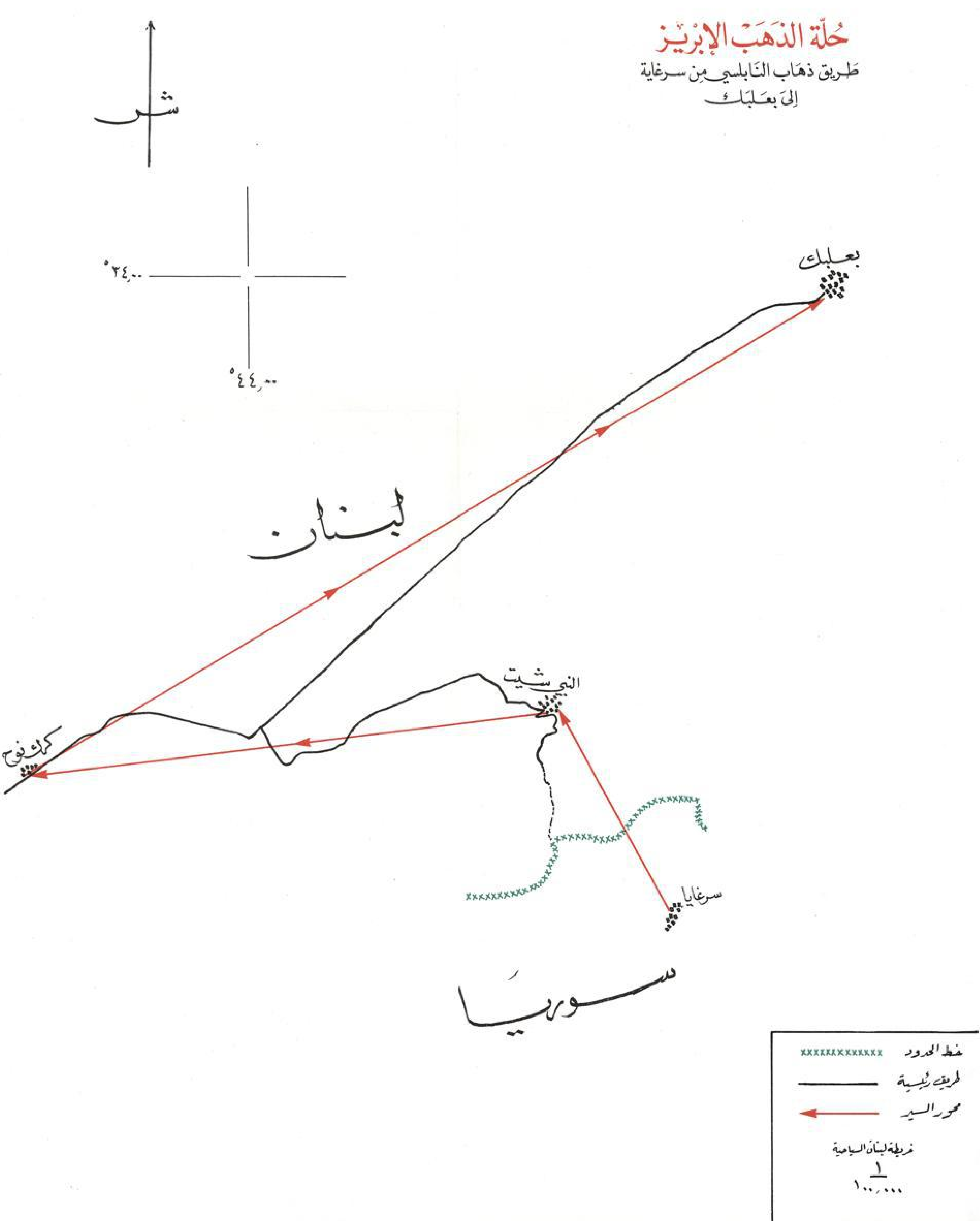
صفحة

الرحلة الى بعلبك والبقاع

مخطوطات حلّة الذهب الابريز

نصّ الرحلة





حلة الذهب الإبريز
طريق ذهاب النابلسي من سرغاية
إلى بعلبك
ش
٣٤,٠٠°
٤٤,٠٠°
بعلبك
لبنان
النبي شيت
كرك نوح
سرغايا
سوريا
خط الحدود
طريق رئيسية
محور السير
خريطة لبنان السياحية
١
١٠٠,٠٠٠



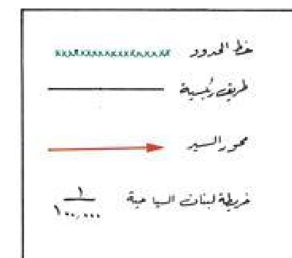
حلة الذهب الإبريز

طريق عودة النابلسي من بعلبك
الى دمشق، مجتازا البقاع

الشمال

بعلبك
تمنين
نبي ايلا
كرك نوح
سعدنايل
تعلبايا
قب الياس
المرج
الدلهمية
الجزيرة
كفريا
خربة قنفار
جب جنين
كامد اللوز
عيتا الفخار
ينطا
يسلون

لبنان
سوريا




Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الفهارس

رحلة من دمشق الشام
إلى طرابلس الشام

تأليف
رمضان بن موسى العطيفي
المتوفى سنة ١٠٩٥ هـ

تحقيق
اسطفان ڤيلد


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

الإهداء

إلى ألمُت وبيتر باخمان
ذكرى للسنوات ١٩٧٣ - ١٩٧٨
في بيروت


Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

بسم الله الرحمن الرحيم

ب الحمد لله مسيِّر العباد في البلاد ، وميسِّر المراد لمن أراد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنام وعلى آله الكرام وأصحابه نجوم الظلام ، ما هلّ هلال وأقمر الى أن صار بدر التمام .

وبعد : فهذه رحلتي الى طرابلس الشام بنيتها على بابين الأول في مدح السفر والثاني في المقصود .

الباب الاول في مدح السفر

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال : وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ ، وقال تعالى : هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ، وفي الحديث : سافِروا تغنموا وصوموا تصحّوا ، وعن أبي هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو يعلم الناس برحمة الله للمسافر لاصبح الناس على وجه سفر ، إن الله بالمسافر رحيم ، وفي التوراة : يا ابن آدم ، جدّدْ لك سفرًا أُجدد لك رزقًا ، وقالت الحكماء : السفر أحد أسباب المعاش التي بها قوامه ونظامه ، لأن الله تعالى لم يجمع منافع الدنيا في أرض بل فرقها وأحوج الى بعض بعضها ، ومن فضله ان صاحبه يرى من عجائب الامصار ، وبدائع الاقطار ، ومحاسن الآثار ، ما يزيده علمًا بقدرة الله تعالى وحكمته ، ويدعوه إلى شكر نعمته ، ويسمع العجائب ، ويكسب التجارب ، ويفتح المذاهب ، ويجلب المكاسب ، ويشدّ الأبدان ، وينشط الكسلان ، ويسلي الثكلان ، ويطرد الأسقام ، ويشهي الطعام ، ويحط سَوْرة الكِبر ، ويبعث على طلب الذِكر ، ويقال : الحركة وَلود والسكون عاقر ، وقال حكيم : السفر ميزان الأخلاق ، وقيل لابن الأعرابي : لمَ سُمّي السفر سفرًا ؟ قال : لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، اي يكشف ، وقال علي رضي الله عنه : ستة من المروءة ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر ؛ فأما الاتي في الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مساجد الله واتخاذ الإخوان في الله ، وأما اللاتي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزح في غير معاصي الله ، وقال بعضهم [من الطويل] :

أَلاَ خَلِّني أَمْضِي لِشأْني وَلاَ أَكُنْ ... عَلَى ٱلأَهْلِ كَلاًّ إِنَّ ذَا لَشَدِيدُ
تُهَيِّبُني رَيْبُ المَنُون وَلَمْ أَكُنْ ... لأَهْرُبَ عَمَّا لَيْسَ عَنْهُ مَحِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مال لَقُرِّبَ مَجْلِسي ... وقِيلَ إِذا أَخطَأْتُ أَنْتَ رشيد
فَدَعْني أَجُولُ الأَرْضَ عُمْرِي لعَلَّهُ ... يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُغَاظُ حَسُودُ

وقال علي : الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة ، وفي هذا الكلام حث على/السفر عند الضرورة . وقال المأمون : لا شيء ألذّ من السفر في كفاية وعافية، ٨ آ لانك تحل كل يوم في محلة لم تحللها وتعاشر قومًا لم تعرفهم . وقال ابن رشيق : كتب اليّ بعض إخواني : مَثَلُ الرجل القاعد مثل الماء الراكد إن تُرك تغيَّر وإن حُرِّك تكدَّر، ومَثَلُ المسافر كالسحاب الماطر هؤلاء يدعونه رحمة وهؤلاء يدعونه نعمة ، فاذا اتصلتْ أيامه ثقل سَقامه وكثر لُوَّامه ، فاجمع لنفسك فرحة الغيبة وفرحة الأوبة والسلام ، فقلت [من الكامل] :

غِبْ عَنْ بِلَادِكَ وَارجُ حُسنَ مغبّة ... إن كُنْتَ حَقًّا تَشْتَكي الإقْلالَا

وقال ابو الطيب[1] [من الطويل] :

وَمَا بَلدُ الْإِنْسان غَيْرُ المُوافِقِ ... إذا أَهْلُهُ ٱلْأَدْنَوْنَ غَيْرُ الأَصادِقِ

وقال البحتري[2] [من الخفيف] :

وإذا مَا تَنَكَّرَتْ لي بِلَادٌ ... أَو صَدِيقٌ فإنَّني بِالْخيَارِ

وقال ابو الطيّب[3] [من الطويل] :

إِذا لَمْ أَجِدْ في بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ ... فَعِنْدِي لأُخْرى عَزْمَةٌ وَرِكابُ

وقال ابراهيم بن العباس الصولي[4] [من البسيط] :

لَا يَمْنَعنَّكَ خَفْضُ ٱلْعَيْشِ في دَعَةٍ ... نُزُوعَ نَفْسٍ إِلى أَهْلٍ وَأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلادٍ إنْ حَلَلْتَ بِهَا ... أَهْلًا بِأَهْلٍ[5] وَجِيرَانًا بِجيرَانِ

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ... تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ج ١ – ٢ ط ٢ ، مصر ١٩٥٦ .

(٢) ديوان البحتري تحقيق حسن كامل الصيرفي ج ١ – ٤ ، مصر ١٩٦٣ ، ج ٢ ، ص ٩٨٧،٩

(٣) البيت غير موجود في ديوانه .

(٤) ديوان ابراهيم بن العباس الصولي في « الطرائف الادبية » مجموعة شعرية من تصحح عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧ ص ١٥١ .

(٥) أَهْلًا بِأَهْلٍ في الديوان : دارا بدار .

قيل لأعشى بكر : الى كم ذا الاغتراب ؟ اما ترضى بالدعة ؟ فقال : لو دامت عليكم الشمس يومين لملتموها ، اخذه حبيب فقال [من الطويل] :

وَطُولُ مُقَامِ المَرْءِ فِي الحَيِّ مُخْلِقٌ لَدِيْبَاجَتِيهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إلى النَّاسِ أنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِم بِسَرْمَدِ

وقال حاتم الطائي[1] [من الطويل] :
إذَ لَزِمَ النَّاسُ[2] الْبُيُوتَ وَجَدْتَهم عُمَاةً عَنِ الأخْبَارِ خُرق المَكَاسب

وقال آخر [من البسيط] :
لَيْسَ ارْتِحالَكَ تَبْغِي لِلغِنَى سَفَرًا بَلِ المُقَامُ عَلَى يَأْسٍ هُوَ السَفَرُ

وفي كتاب المُبْهِج للثعالبي[3]: مَنْ آثر السفر على القُعُود فأحْرَى به أن يَعُادَ مورق العود ، ورُبَّمَا أَسْفَرَ السَفَرُ عن الظَفَرِ وتَعَذَّرَ في الوطن قضاءُ الوَطَر . انتهى .

ولله دَرُّ القائل [من البسيط] :
إرْحَلْ بنَفْسِكَ عَنْ أَرْضٍ تُضامُ بِهَا وَلَا تكُنْ لِفِراقِ الْأَهْلِ فِي خَرَقِ
العَنْبَرُ الخَامُ يُرْمَى فِي مُوَاطِنِهِ وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى العُنُقِ
وَالْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجارِ تَنْظُرُهُ فِي أَرْضِهِ وَهْوَ مَطْرُوحٌ عَلَى الطُرُقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ حَازَ الْفَضْلَ أجمَعَه فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الجَفْنِ وَالحَدَقِ

وقال سهل بن ابراهيم [من البسيط] :
منغَّص العيشِ لا يَأوِى إلى دَعَة مَنْ كَانَ ذَا بَلَدٍ أوْ كَانَ ذَا وَلَدِ.
٨ ب وَالسَّاكِنُ النَّفسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتَهُ سُكْنَى مَكَانٍ وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى أَحَدِ/

---

(١) ديوان حاتم الطائي واخباره لندن ١٨٧٢، ص ١١،٣٩
(٢) اذا لزم الناس ديوان : اذا اوطن القوم .
(٣) اللطائف والظرائف : ٩٨ (مصر ١٣٢٤) .

وقال آخر[١] [من البسيط]:

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفارقُهُ ... وَٱنْصَبْ فإنَّ لذيذَ العيشِ فِي النَصَبِ
الأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الغَابِ مَا ٱقْتَنَصَتْ ... وَالسَّهْمُ لَوْلَا فراقُ القَوْسِ لَمْ يُصَبِ
وَالتِبْرُ كَالتِبْنِ مُلْقًى فِي مَعَادِنِـهِ ... وَالعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الحَطَبِ
فإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا زَادَ مَعْدِنُهُ ... وإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَا صَارَ كَالذَّهَبِ
وجَرَّةِ الخلّ تُعْزَلْ عَنْ رُفَاقَتِها ... وَالكُلُّ يُعْصَرُ مِنْ كَرْمٍ وَمِنْ عِنَبِ

وقال آخر [من الطويل]:

تَغَرَّبْ عَنِ الْأَوْطانِ فِي طَلَبِ العُلَى ... وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوائِدِ
تَفَرُّجُ هَـمٍّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَـةُ مَـاجِدِ
فإِنْ قِيلَ: فِي الأَسْفارِ هَمٌّ وَغُرْبَةٌ ... وَقَطْعُ قِفَـارٍ وَٱقْتِحَامُ شَدَائِـدِ
فَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ مُقامِـهِ ... بِأَرْضِ هَوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَامِـدِ

ومن لامية العجم[٢] [من البسيط]:

إِنَّ العُلَىَ حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَـةٌ ... فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلعِزَّ فِي النُّقَلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ المَأْوَى بُلُوغُ مُنًى ... لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ

وقال الصفي الحلّي [من البسيط]:

إنْ قَلَّ نَفعُكَ فِي أَرْضٍ حَلَلْتَ بها ... سَافِرْ لِتُدْرِكَ قَصْدًا أو تَرَى أملا
فالبيضُ لَو لازَمَتْ أَغْمادَهَا صَدِئَتْ ... والشمْسُ لَو لَمْ تَسِرْ مَا حَلّتِ الحَمَلا

وقال ابن المعلم [من الكامل]:

سِرْ طالِبًا غَايَاتِها إِمَّـا تُـرَى ... فَوْقَ الثُّرَيَّا أَوْ تُرَى تَحْتَ الثَّرى
لَا تُخْلِدَنَّ إِلى المُقَـامِ فَـإِنَّما ... سَيْرُ الهِلَالِ قَضَى لَهُ أَنْ يُقْمِـرَا
لَا تَبْكِ دَارًا فالفتى مَنْ إِنْ دَعَا ... دَمعًا عَصَاهُ وإِنْ دَعَاهُ دَمًا[٣] جَرَى
أَيْنَ الكِناسُ مِنَ العَرينِ وَأَيْنَ غُزْ ... لانُ اللِوى فِي المَجْدِ مِنْ أُسُدِ الشَرى

(١) ديوان الشافعي ٤٨ — ٤٩ ط. دار الثقافة، بيروت.

(٢) انظر معجم الادباء لياقوت الحموي (تصحيح مرجليوث) ج ٤ ص ٥٤.

(٣) كذا في الاصل ولعله: دَمٌ.

لَوْ يُنْتِجِ الوَطَنُ المَلاَ ما سَارَ عَنْ   غُمدان سَيِّدُ حِمْيَرٍ مُسْتَنْصِرا
وَلَــو ٱسْتَتَمَّ بِمَكَّــةٍ لِمُحَمَّــدٍ   مَا رَامَ لَمْ يَنْصُبْ بِيَثْرِبَ مِنْبَرا
وَاللَّيْثُ لَوْ وَجَدَ الفَرِيسَةَ رَابِضًا   أَوْ نَاهِضًا فِي خِيسِهِ ما أَصْحَرَا
لَا عَارَ فِي بَيْعِ النُّفُوسِ عَلَى الردَى   عِنْدي إِذا كَانَ العَلاءُ المُشْتَرَى
فَالْمَجْدُ مِــنْ أَيْدِي الْأَكَابِرِ يُجْتَنى   وَالمُدْنِ لَا أَيْدى الأَصَاغِرِ وَالقُرَى
حتَّامَ حَظِّي فِي الوِهَــادِ وَحَظُّ أصـ   حابِ الدَنَاءَةِ فِي الشَّوَاهِقِ والذُّرى
مَا الجُبْنُ يَحمِينِي الحِمَامَ وَلا أَرَى   الإِقدَامَ يَجْلِبُ لي سِوَى مَا قُدِّرَا
لا بُدَّ مِنْها وَثْبَةٌ تَعْرى الظُّبا   فيها وتكسو الجَوَّ فيها العنبرا/ ٩ آ
أَشْكُو إِلَى الْأَيَّامِ مَا أَلْقَى لهــا   وَجْهًا – عَلَى تَلْوِينِها – مُسْتَبْشِرا
مَا عُذْرُ مَنْ لَم يَلْقَ وَجْهًا أَبْيَضَا   مِنْهُنَّ إِنْ لَمْ يَلْقَ يَوْمًا أَحْمَــرا

سبحان المانح ، أقول : هذا هو السحر الحلال الذي أحلى على قلب العباد من الماءِ الزُّلال ، ولهذا أثبتُّ الأبيات كلها وإن كان بعضها ما له تعلُّق بما نحن فيه .

ابن قلاقس[١] [من الكامل] :

سَافِرْ إِذَا حَاوَلْتَ قَــدْرا   سَارَ الْهِلالُ فَصَارَ بَــدْرَا
وَالْمَاءُ يَكْسِبُ مَا جَرَى   طِيبًا وَيَخْبُثُ مــا اسْتَقَرَّا
وَبِنُقْلَــةِ الدُّرَرِ النَّفِيـ   سَةِ بُدِّلَتْ بـالبحرِ نَحْــرا

صَرَّدُرَّ[٢] [من الكامل] :

قَلْقِلْ رِكَابَكَ فِي الفَــلا   وَدَعِ ٱلغَوَانِيَ لِلْخُــدُورِ
فَمُحَــالِفُو أَوْطَانِهِم   أَمْثَــالُ سُكَّانِ الْقُبُــورِ
لَوْلَا التَّنَقُّــلُ مَــا ٱرْتَقَى   دُرُّ البُحُورِ إِلى النُحُــورِ

(١) وهو نصر الله بن عبد الله بن مخلوف ... بن قلاقس اللخمي ، انظر كحالة ١٣، ٩٧

(٢) الحسن بن علي بن الفضل المعروف بَصَرَّدُرَّ... انظر كحاله . ٣، ٢٥٨ او علي بن الحسن بن علي بن الفضل المعروف بصَرَّدُرَّ .

ابن قلاقس [من السريع] :

إنَّ مُقامَ المرءِ في بَيْتِــهِ مثلُ مقامِ الميتِ في لَحْدِهِ
فَوَاصِلِ الرحلةَ نَحْوَ الغِنَى فالسيفُ لا يقطعُ في غِمْدِهِ
والنارُ لا يُحْرِقُ مشبوبُهـا إلا إذا ما طارَ عن زندِهِ

وقال آخر [من البسيط] :

لَيْسَ ٱرتحالُكَ تَرْتَادُ الغِنَى سَفَرًا بَلِ المُقامُ عَلَى ذُلٍّ هُوَ السَفَرُ

ابو الفرج[1] [من الخفيف] :

صِحْ يُجِبْكَ العُلَى الى الغاياتِ ما غِناءُ الأُسُودِ في الغـاباتِ
لا يُرَدُّ الرَّدَى لُزُومُ بيُـوتٍ لَاوَلا يَقْتَضيــه جَوْبُ فَـلَاةْ
مَوْلِدُ الدُرِّ حَمْأَةٌ فـإذا سَا فَرَ حَلَّى التِيجَـانَ واللَّبَّـاتِ
يَسْكُنُ المِسْكُ سُرَّةَ الظَبْيِ بَدْأً ثُـمَّ تُصْلِيـه جَمْرَةُ الوَقَـداتِ

ابن قلاقس [من الخفيف] :

وَالصغِيرُ الحقِيرُ يَسْمُو بِـهِ الدَّهْـرُ فَيَعْنُـو لَـهُ الكَبِيرُ الجَليــلُ
فَرْزَنَ البَيْـدَقَ التنقُّـلُ حتـى انحط عنـه في قيمـة الدَسْتِ فِيـلُ

ابو الفضل التميمي [2] [من المنسرح] :

دعنـي أسِرْ في البِـلادِ مُلْتَمِسًا فَضْلَةَ مالٍ إِنْ لَمْ يُفِـدْ زانـا
فَبَيْدَقُ الرُخِّ وَهْـوَ أَيْسَرُ مَـا في الدَّسْتِ إِنْ سَارَ صَارَ فِرزَانـا

الصفي الحلّي [من الطويل] :

تَنَقَّـلْ فَلَذَّاتُ الهَوَى في التَّنَقُّلِ وَرِدْ كُلَّ صَافٍ لَا تَقِفْ عِنْدَ مَنْهَلِ
ففي الأَرْضِ أَحْبابٌ وَفِيها مَشَارِب فَلَا تَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ
وَلَا تَسْمَعَنْ قَوْلَ ٱمْرِئِ القَيْسِ إِنَّهُ مُضِلٌّ وَمَنْ ذَا يَهْتَدِي بِمُضَلِّلِ

(١) وهو أبو الفرج علي بن هندو والأبيات موجودة في تتمة اليتيمة للثعالبي . ج ١ ص ١٤٢

(٢) وهو محمد بن عبدالله بن محمد بن رجا التميمي (كحالة ١٠، ٢٣٩) .

عبد الله بن طاهر [من الطويل] :

فَإِنْ تَجْفُ عَنِّي أَوْ تَزِدْني إِهَانَةً   أَجِدْ عَنْكَ في الأَرْضِ العَرِيضَةِ مَذْهَبًا/ ٩ ب

وقال المتنبي [من الطويل] :[١]

وَكُلُّ امرئٍ يُولِي الجَميلَ مُحَبَّبٌ   وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

وسأل عبد الملك بن مروان رجلًا : أي البلاد احب اليك ؟ فقال : ما كثر فيه رزقي وعظم قدري وجاهي ، ثم تمثل [من الطويل] :

فلا كوفة أمّي ولا بصرة أبي   ولا أَنا يَثْنِيني عَنِ الرِّحلَةِ الكَسَلْ

وقال آخر [من الطويل] :

فإِنَّ التَّواني زَوَّجَ العَجْزَ بِنْتَــهُ   وساقَ لَهَــا لَمَّا تَزَوَّجَهَا مهـرًا

فراشًا وَطيئًا ثُمَّ قَالَ لَهَا : اتكي   رُوَيْدًا كَمَا لَا بُدَّ أَنْ تَلِدِي الفَقْرَا

وقال المهيار [من الطويل] :

وَقَائِلَةٍ : هَلْ يُدْرِكُ الحظَّ قَاعِدٌ   فقلتُ لها : هَل يَقْطَعُ السَّيْفُ مُغْمَدًا

وقال آخر [من الكامل] :

وَإِذا الزَّمانُ كَساكَ حُلَّةَ مُعْـدِمٍ   فَٱلْبَسْ لَهَا حُلَلَ ٱلنَّوى وتَغرَّبِ

ابن درّاج القسطلي[٣] [من الطويل] :

دَعِي عَزَمَاتِ المُسْتَضَامِ تَسِيرُ   فَتَنْجِـدَ في عَرْضِ الفَلَا وَتَغُــورُ

تُخَوِّفُني طُولَ السِفَارِ وَإِنَّـــهُ   لِتَقْبيلِ كَفِّ العــامريِّ سفير

دَعيني أَرِدْ مَاءَ المغــاور آجِنًـا   إِلى حَيْثُ مَاءُ المكرماتِ نَميرُ

أَلَمْ تَعْلَمي أَنَّ الثَّوَاءَ هُوَ التَّـوَى   وَأَنَّ بُيُوتَ العَــاجزِينَ قُبُورُ

وإِنَّ خَطِيراتِ المَهَــالِكِ ضُمَّنٌ   لِرَكِبِهـــا أَنَّ الجَــزاءَ خَطِيرُ

---

(١) ديوان المتنبي ج ١ ١٨٣ البيت ٢٨

(٢) ديوان مهيار الديلمي دار الكتب ، ج ١ ص ٢٣٢، ١٣

(٣) ديوان ابن دراج القسطلي تحقيق الدكتور محمد علي مكي ص ٢٤٩

وقال آخر [من الخفيف] :

يا خَليلَيَّ حَلِّيَا عَاطِلَ البِيَد بوجه النجيبة الشِّملال
زُحَلٌ أَكْبَرُ الكوَاكِبِ لَا يُخْمَلُ إِلَّا مِن قِلَّةِ الانْتِقَالِ

ابن قلاقس [من مجزوء الرجز] :

إِنْ كُنْت تَبْغي وَطَنًا مِن العُلَى فاغْتَرِبِ
فَالسُّمْرُ في غَابَاتِهَا مَعْدُودَةٌ في القَصَبِ
وَالشَّمْسُ لَا تُرْقَبُ في المَشْرِقِ لَوْ لَمْ تَغِبِ

وقال ابن الساعاتي[١] [من الطويل] :

وَكُنْ غَانِيًا عَنْ كُلِّ أَرْضٍ بِأُخْتِهَا وَإِنْ حَلَّ مَغْناها كَوَاعِبُ عِينُ
فَلَوْلَا فِرَاقُ الدُرِّ أَصْدَافَ بَحْرِهِ لأَنْكَرَهُ تَاجٌ وصَدَّ جَبِينُ

وله [من البسيط] :

وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ شَيْءٍ تَرَفُّعُهُ فَرُبَّمَا صَارَ وَرْدًا نازحَ السُحبِ
لَمْ يَشْرُفِ الدُّرُّ لَوْلَا هَجْرُ مَوْطِنِهِ وَالبَدْرُ ما تَمَّ حَتَّى جَدَّ في الطَّلَبِ

ابو الشكر حمّاد [من البسيط] :

قالُوا : نَرَاكَ كَثِيرَ السَّيرِ مُجْتَهِدًا في الأَرْضِ تَنْزِلُهَا طُورًا وَتَرْتَحِلُ
فقلت لَوْ لَمْ يَكُنْ في السَّيرِ فَائِدَةٌ مَا كَانَتِ السَّبْعُ في الأَبْرَاجِ تَنْتَقِلُ

وقال آخر [من الوافر] :

أَقُولُ لجَارَتِي وَالدَّمْعُ جَارٍ وَلي عَزْمُ الرَّحِيلِ مِنَ الدِّيَارِ
ذَرِينِي أَنْ أَسِيرَ وَلَا تَنُوحِي فَإِنَّ الشُهْبَ أَشْرَفَهَا السَّوَارِي

---

(١) الابيات غير موجودة في ديوانه .

الصلاح الصفدي [من الكامل] :

سَافِرْ تَنَلْ عِزًّا فَمَا مِسْكُ الوَرَى إِلَّا دَمًا في سُرَّةِ الغُـزْلَانِ/ ١٠ آ

والرُّمْح لَمَّا فَارَقَ الوَطَنَ ٱغْتَذَى بِذُؤَابَةٍ خَفَقَتْ وَتَـاجِ سِنَـانِ

وله [من الكامل] :

سَافِرْ تَنَلْ رُتَبَ المَفَاخِرِ وَالعُلَى كَالدُّرِّ سَارَ فَصَارَ في التِيجَانِ

وَكَذا هِلَالُ الأُفْقِ لَوْ تَرَكَ السُرَى مَـا فَـارَقَتْـهُ مَعَرَّةُ النُقْصَانِ

الفرزدق [من الطويل] :

وَمَا هِيَ إِلَّا بَلْدَةٌ مِثْلَ بَلْـدَتي خِيَارُهُمَا مَا كانَ عَوْنًا عَلَى دَهْرِي

وقال آخر [من الكامل] :

وَإِذَا البِلَادُ تَغَيَّرَتْ عَنْ حَالِهَا فَدَعِ المُقَامَ وَبَادِرِ التَّحْوِيلَا

لَيْسَ المُقَامُ عَلَيْكَ فَرْضًا واجِبًا في بَلْدَةٍ تَـدَعُ العَزِيزَ ذَلِيـلَا

أبو الفتح البستي[١] [من البسيط] :

وإِنْ نَبا بِكَرِيمٍ مَوْطِـنٌ فَلَـهُ وراءَهُ في بَسِيطِ الأَرضِ أَوْطَـانُ

ابن مكانس :

لا تترُكِ الأفكـارَ لا تألَفِ الديـارَ

فـان مـاء النهرِ عطـن اذا لم يجرِ

فـأتلِفِ السياحَهْ فانهـا نَجـاحَهْ

البلد في الاسراءِ قـد تمَّ في الضياءِ

القرمطي الخارجي بالشام [من الوافر] :

أَرَى أَنَّ المَنِيَّـةَ بِالمَعَـالِي أَحَبُّ إِليَّ مِنْ ذُلِّ القُعُـودِ

(١) وهو علي بن محمد البستي (ابو الفتح) انظر كحالة ٧، ١٨٦

الأرجاني[١] [من الطويل] :

وَلَمْ أَغْتَرِبْ إِلَّا لأَكْتَسِبَ الغِنَى فَأَسْقِيَ مِنْهَا كُلَّ ذِي ظَمَإٍ سَجْلَا
وَيَعْلُو الغَمَامُ الأَرْضَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَسُوقُ إِلَيْهَا وَهْيَ لَنْ تَبْرَحَ الوَبْلَا
إِذَا مَا قَضَتْ نَفْسِي مِنَ العِزِّ حاجَةً فَلَسْتُ أُبالي الدَّهْرَ أَمْلَى لها ام لا

وقال آخر [من الكامل] :

في الأَرْضِ مُتَّسِعٌ لِنَفْسٍ حُـرَّةٍ إِنْ تَنْبُ مَنْزِلَةٌ دَعَـاهَا مَنْزِلُ

وقال ديك الجن [من البسيط] :[٢]

حَتَّى أُصَادِفَ مَالًا أَوْ يُقالَ فَتًى لَاقَى الرَّدى بَيْنَ أَسْيَافٍ وأَرْمَاحِ

النابغة الجعدي [من الطويل] :[٣]

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ شَكَا الفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فأَكْثَرَا
فَسِرْ في بِلَادِ اللهِ وَٱلْتَمِسِ ٱلغِنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتُ فَتُعْذَرَا

ابن سارة [من البسيط] :

سَافِرْ فَإِنَّ الفَتَى مَنْ بَاتَ مُفْتَتِحًا قُفلَ النَّجَاحُ بِمِفْتَاحٍ مِنَ السَّفَرِ
إِنْ شِئْتَ خُضْرَتَهَا يَا بْنَ الرَّجَاءِ فَكُنْ في طَيِّ غُبْرِ الفيافي ثانِيَ الخُضَرِ
وَلَا يَصُدَّنْكَ عَنْ وَجْهٍ تُصَعِّبُـهُ قَدْ يَنْبَعُ الكَوْثَرُ السَّلْسَالُ مِنْ حَجَرِ
لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ المَطْلُوبُ في شَرَكِي وَلَوْ بَنَى وَكْرَهُ في دَارَةِ القَمَرِ

وقال الحكماء : لَا تُنَالُ الرَّاحَةُ إِلَّا بِالتَّعَبِ وَلَا تُدْرَكُ الدَعَة الا بالنَصب ،

(١) غير موجود في ديوانه
(٢) ديوان ديك الجن تحقيق احمد مطلوب وعبدالله الجبوري ، بيروت ١٩٦٤ ص ٢١٠ رقم ٩١
(٣) ديوان النابغة الجعدي تحقيق ماريا نالينو، روما ١٩٥٣ ، ص ٧٢

قال حبيب [من الطويل] :

عَلَى أَنَّنِي لَمْ أحوِ وَفْرًا مُجَمَّعًا فَفُزْتُ بِهِ إِلَّا بِشُمْلٍ مُبَدَّدِ
وَلَمْ تُعْطِنِي الأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بِنَومٍ مُشَرَّدِ

فائدة

ب نختم بها هذا الباب ، ليتخلق بها أولو الالباب ، وهي : أوصى بعض الحكماء / ابنه – واراد سفرًا – فقال : انك تدخل بلدًا لا تعرفه ولا يعرفك اهله ، فتمسك بوصيتي تَنْفُقْ بها ؛ عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ، ونقاء الاطراف فانها تدلّ على الملوكية ، ونظافة اليد فانها تشهد على النشوء في النعمة ، وطيب الرائحة فانها تظهر المروءة ، والادب الجميل فانه يكسب المحبة ؛ وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، فانك ان استحيت من الفصاحة اجتنبت الخساسة ، وان أنِفْتَ من الغلبة لم يتقدمك نظيرٌ في مرتبة ، والله تعالى أعلم .

*

الباب الثاني

فأقول توجهت بكرة يوم الخميس خامس عشرين ذي الحجة سنة ثلاث واربعين والف ومعي صديق في المحبة صادق ، ورفيق فيما اروم موافق ، قد ملَك كلّ حسن وظرافة ، وجمع كل حذق ولطافة ، ينتصب لمراداتي لا يملّ ولا يسأم ، ويتعب في مراضاتي لا يكلّ ولا يندم ، ويجهد في موافقتي لا يَمُنّ ولا ينمّ ، ويحسن في موافقتي فلا يذُمّ ولا أذُمّ ، لا استطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندي كما قيل [من الطويل] :

بِرُوحِيَ مَنْ لا أستطيعُ فِراقَهُ ... ومَن هو أوْفَى مِنْ أخي وشقيقي
اذا غاب عنّي لَمْ أزل مُتلفّتا ... أدورُ بعيني نَحْوَ كلّ طريق

وسرنا نقطع الطريق بكلّ معنى رقيق الى ان قطعنا عقبة دُمّر واستقبلنا وادي بَرَدى نمشي على بساط من الازهار ، في ظلّ سرادق من الاشجار ، ونترنم بغناء الاطيار ، ونمتع العين بتكسر الماء على الاحجار ، فرأينا في ذلك الوادي ما يطرب الاسماع ويدهش الأبصار . الى ان انتصف النهار فوصلنا الى تكية الدَوْرَة وهو مكان لطيف الى جانبه طاحون وهي انتهاء وادى بَرَدى وابتداء ارض الزَبَداني ، فأقمنا بها بقية ذلك اليوم الى ان دخل الليل ، فملنا الى النوم الى آخر الليل . ثم قمنا الى الرحال ، وشرعنا في الترحال والصبح تلوح أعلامه ، الى ان انمحى الليل وظلامه ، فوصلنا الى ارض الزبداني ، ونظرنا الى القاصي منها والداني ، فاذا هي جنة الله تعالى في ارضه محفوفة بالاشجار ، مفروشة بالرياحين والازهار ، جداول الماء منسابة على حصباء كاليواقيت واللآل صدق عليها من قال [من المتقارب] :

كأَنَّ المِيَاهَ خِلال الرياضِ ... وأعْيُنَ أزهـارهـا نـاظِرَهْ
سَماءٌ تَقطَّـعَ فيهـا الغَمامُ ... فلاحتْ بها الأَنجُمُ الزاهرهْ

الى ان وصلنا الى قرية بليتار [١] ، وأنخنا بفِنائها تحت ظلّ الأشجار ، ثمّ دخلنا مدينة / بَعْلَبَكّ وهي يومئذ خراب ، خرّبها فخر الدين بن معن لما تحارب مع بني الحرفوش [٢] في خبر يطول ، ولم يبق منها غير جامعها الكبير ، ومعبدها الخطير ، والخان الذي بقربه ، وأما القلعة فأراد هدم الباب فعجز عن ذلك ، وهي أعجوبة من اعاجيب الزمان ، وأثر عظيم في آثار السيد سليمان . ثمّ سرنا الى رأس العين ورأيناها بعين الرأس وشربنا من مائها العذب ونشقنا من ارَج تلك الرياض ، وتذكرنا [٣] قول ابن الشهيد ونظمه المُذرّي بالعقد الفريد [من الكامل] [٤] :

ولقد أَتَيْتُ لِبعلبكّ فشاقني عَيْنٌ بها روض النعيم يُنَعَّمُ
فلأَهْلِها مِنْ أَجْلِها أنا مُكْرِمٌ ولأجلِ عَيْنٍ أَلْفُ عينٍ تُكْرَمُ

ثم عدنا الى المناخ ، واقمنا به تلك الليلة الى الصباح ، ثمّ سرنا الى ان وصلنا الى عَيْنَاتَا وهي قرية تحت جبل المسقيّة ، ومن نصف الجبل تخرج عين ماء ينصبّ في وادٍ اخضر به اشجار كبار ، تمنع أوراقها رؤية الشمس وبه ازهار واطيار ، وذلك الماء ينساب في خلال تلك الاشجار ، فأقمنا به بقية اليوم والليلة ثم سرنا الى القرية الموسومة باهدل [٥] وهي قرية مطلة على وادي به اشجار منوّعة وجداول ، وأقمنا بها تلك الليلة الى الصباح .

ثم سرنا الى ان دخلنا طَرَابُلُس فنزلنا في مكان لطيف ، قابلَنا أهله بالمؤانسة والتشريف ، فاذا هي بلدة لطيفة ، ماؤها كثير ورزقها غزير ، جميع بنائهـا بالحجر ليس فيه شيء من الخشب ، حتى كادت ان تكون كلها قطعة واحدة ، يشقها نهر عظيم ، على حافتيه من الجانبين الجوامع والمدارس والقصور والشبابيك ؛ وهذا النهر غير نهر السُقيا لبيوتها وحماماتها ، والماء فيها يصعد الى اعلى مكان بها .

(١) كذا في الاصل وهي الآن : بريتال .
(٢) في الاصل : الحروش .
(٣) في الأصل : تذكر .
(٤) الارجح انه محمد بن ابراهيم بن محمد النابلسي المعروف بابن الشهيد [٧٢٨ – ٧٩٣ هـ] وهو صاحب الفتح القريب في سيرة الحبيب .
(٥) كذا في الاصل واسم القرية : اهدن .

ولها قلعة في طرفها على جبل مطلّ عليها ، وماء السقيا يمرّ بطرف من العلو والنهر الآخر في سُفل وادٍ ، وبها جميع فواكه دمشق وأكثر نباتات مصر ، فلذلك يقول أهلها : هي دمشقية مصرية ، حتى سمعتُ بعض اهلها يقول : بلدتنا هذه الهند الصغيرة . ويحيط بكلّ اطرافها بساتين وغياض ومنتزهات ، ونسيمها لطيف ، وبها ازاهر ورياحين ، واكثر ما حولها شجر الحمض . وهي على حافة البحر الّا انّ بينها وبينه ما تقدّم / من البساتين ، ويعجبني ما قال فيها بعض واصفيها [من الرجز] : ب

رأيتُ في أطرابلوسَ روضةً   مَدّت لنا من اطلسٍ شقائقا
ويُفرط المُزنُ بها إنْ حلَّها   لآلئًا فتُنْبت العقائقا
كأنَّ عُشّاقَ الخدود أرسلوا   حُمْرَ الدموع عندها سوابقا
أو الغواني خضَبت اكُفَّها   واودعتْها عنبرا بنادِقا

ذَكَّرَنيهَا لفظ اطرابلس الواقع في النظم . قال المجد الفيروزبادي في كتابه القاموس : أطرابلس – بفتح الطاء وضمّ الباء واللام – بلد الشام وبلد بالمغرب ، او الشامية أطرابلس بالهمز او رومية معناها ثلاث مدن انتهى . ثم لم ازل كل يوم في مكان جديد ، او وادٍ سعيد ، او قصر مشيد ، حتى جمعتنا المقادير بالعقد الفريد ، وبيت القصيد ، حاكمها يومئذ الامير الكبير الامير علي ابن الامير محمد ابن سَيْفا نائبًا عن خاله قاسم باشا ، فدخلتُ الى داره المحروسة ، ووقفت على ألطافِه المأنوسة ، فاذا بها محفوفة بالنجوم والاقمار ، واهل الفضائل والكمالات ورواة الاشعار ، فأكرمني غاية الاكرام ، وأمرني ان لا افارقه مدة المقام ، فكنت أغِبّه في الزيارة ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم «زر غِبًّا تزدد حُبًّا» . وكان يذكر لي مآثر والده من الكرم والشجاعة ومحبة العلماء والشعراء والادباء ، وانشدني في بعض المجالس قول والده من المواليا في الحماسة :

حلفت وان دقّ طبل الحرب لاعمل عرس   ورقص الخيل من تحت العرب والفرس
وهدّ ركن العِدا حتى يولوا درس   وردّ عني بسيفي والقنا والترس

وقوله ايضًا في النسيب :

لا خطر حِماك وزورك في الليالي العُتم   وقبِّل الخال والمَبسم وتحت اللُثم
أقسم ومَن قد خلق آدم وحوى يُتم   اسراركم في ضمائرنا ونحنا كُتم

ولقد انشدني بعض الادباء بطرابلس بعض ما مُدح به في حياته وبعض ما رثـــاه الشعراء[١] بعد مماته ؛ فمن ذلك قول بعضهم [من الطويل] :

ولمّا احتوت ايدي المنايا محمَّدَ الـ أميرَ بن سيفـــا طاهر القلب والبـــدنِ

١آ /تعَجَّبْتُ كيف السيفُ يُغمَدُ في الثّرَى وكيف يُوارَى البحرُ في طَيّةِ الكفـــنِ

واخبرني لطيفةً صدرت منه وهو انه في الجبل الذي به القلعة مكان مرتفع الى جنبه كثيب من الرمل الابيض ، يقصد ذلك المكان للتنزه بمدّ البصر ، فانّ الجالس به يرى المدينة وما حولها من البساتين ثم يليها رمل احمر ثم يليه مرج اخضر ممتدّ الى البحر ، وهو من ابهج المناظر . فجلس يومًا مع غلام تركي كان يهواه . مبدعٍ في الجمال ، مفرط في الدلال ، فانتشى الغلام من حسن هذا المكان الرفيع ، والمنظر البديع ، فقال للامير مخاطبًا له : يا سيدي ، انظر الى هذا الرمل الاحمر والمرج الاخضر والبحر الازرق ، فقال له : ولِمَ تركت ذكرَ الكثيب الابيض الذي خلفك؟ فخجل الغلام وتلجلج في الكلام وقال : على تَرْكي مثلَ هذا لا أُلام ؛ والناس يحفظون لهم لطائف ومحاورات وانظام يكلّ اللسان عن استقصاء ذكرها ، ويعجز القلم عن جمعها . وكان الامير علي يحبّ سماع الاشعار ويميل الى لطائف الاخبار ، فكنت انشده الرقيق منها فيأمرني بان اكتبها له ويبهج بذلك ، تبعًا لأسلافه الكرام وآبائه العظام ، فان اخبار بني سيفا بالمكارم والكرم ، وإسداء الفضل الى اهل الغناء والعدم ، اشهر من أن تُذكر ، حتى كان يقصدهم المحتاج وغير المحتاج من سائر البلاد ؛ ويقال عنهم إنهم أحيوا ايام البرامكة حتى محاهم فخر الدين بن معن واجلاهم عن بلادهم واوطانهم وخرّب منازلهم التي كانت بطرابلس في خبر يطول ؛ فلما انقلب المِجَنّ واخنا عليه الدهر وقُتِل ابنه الامير عليّ ، جهز السلطان مراد اليه العساكر ، وكان السردار احمد باشا الكجك ، في سنة ثلاث واربعين والف الى ان قبض على فخر الدين وحمله الى السلطان مراد ، فظهر في هذا الأثناء مَن كان مختفيًا مشتتًا من بقية بني سيفا كالامير علي المذكور وقاسم باشا ومن مماليكهم كحسن آغا ويوسف آغا وغيرهم . ولكن ما استقام امرهم ولم يتمّ هذا المرام والمراد ، فانمحوا جميعًا في قليل من الزمان ويأبى الله إلا ما اراد .

(١) في الأصل : الشعر .

ب ومن اجتمعنا به / محمد افندي ابن الضّني[١] مفتي الحنفية بطرابلس المحمية ، عالِم جليل ، وكامل نبيل ، يتكلم بالعربية والتركية ويكتب الخط الحسن ؛ دخلتُ الى داره فرأيته جالسًا في ايوان حيطانه كلها بالرخام المنوّع ، وفرشه بالحرير والجوخ الملوّن ، وبين يديه عدّة مماليك ، في أعلى طبقات الجمال والادب والكمال . فسألني عن دمشق وعن علمائها فردًا فردًا ، على الخصوص عن شيخنا الشيخ عبد الرحمن العمادي وشيخنا يوسف افندي الفتحي ، وأراني في مجموع له المكاتبات التي جرت بينهم ؛ وبالجملة فهو فصيح بليغ له جاه ووجاهة ومعرفة بالروم واهله وبكل بلاد . ومِمن اجتمعت به محمد افندي ابن هبة الله خطيب الجامع الكبير ويتولى نيابة الباب ، يتكلم بالعربية والتركية ، وله فصاحة ووجاهة وحسن سلوك يليق بمجالس الملوك . وهو الخطيب الحنفي بالجامع الكبير وله صوت حسن وتأدية لطيفة في الخطابة والقراءة . وممن اجتمعت به الشيخ عبد الكريم الحموي مفتي الشافعية ، عالم عامل ، وفاضل كامل ، سافر الى مصر واشتغل بالجامع الازهر حتى تكمّل ؛ زرته في زاوية له مطلة على النهر[٢] المارّ بالمدينة من الطرف الشرقي فرأيت مجلسه مهابًا محفوفًا بالعلماء ، والافاضل والادباء ، يستغرق كلّ اوقاته بالعلم والعبادة ، والافتاء والافادة ، مع الكرم الزائد ، والتواضع المتزايد . سألني أوّل ما رآني عن شيخنا محمد الصيداوي وقال : انه صحبني بمصر وشاركني في الدروس بالأزهر فاخبرته بسلامته ففرح بذلك ثمّ بعد يومين او ثلاثة طلبني الى منزله المذكور وان آتيه في البكور ، فبكرت اليه فرأيته ينتظرني فسرنا من طرف البلدة نحو البحر بين بساتين ورياض وجداول الى ان وصلنا الى مكان به مرج اخضر يشقه النهر الذي يمرّ في المدينة وينصبّ هناك في البحر ، له مرأىً عجيب ، وشكل غريب ، يُسمى ذلك المكان برأس النهر ، معدّ للتنزّه كمرجة دمشق ومن آ حوله بساتين بها ازهار واطيار وفي طرفه البحر يرى / الجالس امواجه والمراكب فاذا خيام منصوبة داخلها مفروش وجماعة ينتظرونا من اهل الفضل والكمالات وقدور منصوبة للطبخ ، فأقمنا جميع ذلك اليوم نتمتع باولئك القوم ما بين ابحاث

(١) كذا في الاصل ولعله : الضناوي

(٢) في الاصل : النهار .

في العلوم ، من المنثور والمنظوم ، او تناشد الاشعار ، وايراد لطائف الاخبار ، الى ان هرم ذلك النهار ، وقام كلّ منا الى منزله يؤوب ، وقد جنحت الشمس للغروب ، فكان اعظم ما لاقيت في سفري ، بل كان اعجب يوم مرّ في عمري . ويصدق عليه قول من قال واجاد في المقال [من الكامل] :

يا حبَّذا رَوْضٌ يروقُ وَسامةً عَبِقُ الثرى مترقرقُ الأَنْداءِ
في شَطّ سَلْسالِ القَراح تسربلتْ أعْطافُه مِن دَوْحِه بملاءِ
يستلّ منه الحُسْنُ سَيفاً مُرْهَفاً ما شانَ صِفحتَه صَدا الأقْذاءِ
صافي الغدير مُبينةٌ اسرارُه شَفَّتْ غِلالتَه على الحصْباءِ
واستُقبلتْ فيه الكواكب فالتَقا حوتُ السماءِ به وحوتُ[1] الماءِ

ومنهم السيد حسين نقيب السادة الاشراف ، صاحب الفضائل والكمالات وربّ المحاسن والالطاف ، شريف ظريف ، وعفيف نظيف ، مهاب مع التواضع والايناس ، ومحبّب الى القلوب مع بعده عن الناس ، كنت أزوره كثيرًا فأرى من حسن اخلاقه ورقة طبعه وسماحة نفسه ما يدهش العقول ، ويصدق عليه قول من يقول [من الكامل] :

اقدامُ عمرٍو في سَمَاحةِ حاتمٍ في حِلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ [2]

منهم بحر الصفاء ، وكنز الوفاء ، الاخ في الله تعالى الشيخ مصطفى الشافعي ، خطيب الجامع الكبير شركة ابن هبة الله الحنفي المتقدم ذكره وإمام الجامع المذكور : عالم جليل ، وفاضل نبيل ، مع محبة للناس ، وأنس ليس فيه ايحاش ، مكبّ على القراءة والاقراء وجمع الفوائد والفرائد اله خطّ حسن وجميع اوقاته مصروفة في الخير ؛ كنت ازوره كثيرًا في حجرته الغريبة بالجامع الكبير فأرى من ألطافه ورقة طبعه ما يدهش العقول ؛ ولم انشده شيئًا الّا وينشدني بامثاله وبمقابله . فمن ذلك ان صليت المغرب مرّة بالجامع المذكور فأدخلني معه الى الحجرة لننتظر صلاة العشاء فتحادثنا الى ان انشدته بمقتضى / المقام [من المجتث] : ب

الشرقُ شيءٌ مليح فقُل لمن يزدريهِ
الشمسُ تَطلع منه والبدرُ يَكْمَل فيهِ

(١) في الاصل : حوب .
(٢) ديوان ابي تمام تحقيق محمد عبده عزام ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

فقال متمثلًا في الحال :

الغرب أحسن منـــه   ولي بهــذا أدِلَّـــهْ
الشمسُ تسعى اليـــه   ومنـــه تبدو الأهِلَّـــهْ

ودُعيتُ مرّة بعدُ الى دار في المحلة الشرقية من البلدة ، وهي محلة مرتفعة مشرفة على البلدة وما حولها من البساتين الى البحر ، فدخلنا الى دار حسنة البناء وصعدنا الى مكان مرتفع له شبابيك من جهة الغرب وكان آخر النهار والشمس تهوي للغروب ومن عادة الشمس اذا قارب وقت الغروب من جهة البحر لا تمنع الابصار من رؤيتها ، فرأيت شيئًا لم أرَ ابهج منه من المكان والزمان والمنظر العجيب واستعداد صاحب المنزل ، فتذاكرنا وتناشدنا الى ان أنشدتُ [من الكامل] :

إِن شئتَ تَحْظَى بالسعادة إِستقِمْ   تَنَلِ المُرادَ وتَرتقي[١] أَعْلا سما
أَلِفُ الكتابة وَهْوَ بعضُ حروفِها   لمَّا استقام على الجميع تَقدّما

فأنشدني في الحال متمثلًا يقول[من الكامل] :

مَنْ يَستقِمْ يُحرَمْ مُناه ومَن يَزُغْ   يختصّ بالاسعــافِ والتمكيــنِ
انْظُرْ الى الألِف استقام ففاته   عُجمٌ وخُصَّ به اعوجاجُ النــونِ

واخذ يحكي وينشد ويتمثل بما يبهر العقول ، فسبحان المعطي . وكان يزورني مدّة اقامتي في كل يوم ويسدي من المساعدة والمعاونة على مرامي ما لم يفعله الأخ مع أخيه او الابن مع ابيه الى ان سافرت فخرج في وداعي الى المحلة التي يحلّ بها المسافرون ، جزاه الله تعالى خيرًا ووقاه شرًّا وضيرًا . ولما عدت الى دمشق ارسلت اليه هذا النظام ضمن مكتوب جعلته حسن الختام [من الطويل] :

سلامٌ على اطرابلوس ومَنْ بها   سلامُ مُحِبّ عَزَّ عنها اصطبارُهُ
يُقضِّي لياليـهِ بنَوْحٍ وأدْمُعٍ   ويَمضي كما يُمضي الليالي نـهارُه
فـأدمعُـه حُمْرٌ بـأصْفرِ وَجْنَةٍ   حكاها شقيقُ الروض ثمّ بَهارُه
اذا خطَرتْ في فِكره صَفْو عِيشةٍ   تقضّتْ بذاك الشِعب طار قَرارُهُ
واني لَمُشتــاقٌ لها ولأهلِهــا   وجـامِعِهـا المعمور عَزَّ منارهُ

---

(١) في الاصل : ترتقي .

ولا سيَّما شيخُ العلوم خطيبُه سَمِيٌّ نَبِيِّ الله زاد اقتدارُه

١ آ هو المصطفَى المَوْلَى الذي فضلُ عِلْمِه كبحرٍ صفا عَذْبًا وعَزَّ قرارهُ

فيا أيها المولى الذي نورُ عِلْمِه تُوَقَّدُ في كُلّ الجهات شَرارهُ

محِبُّك يُقْرِيكَ السلامَ مع الصِّبا يؤرِّجُه شِيحُ الرُبا وعَرارهُ

عليك سلام اللهِ ما ذرّ شارق وهاج محبًّا للحبيب ادّكارهُ

وَجَمَعَنَا مدّة مجلسُ انس في بستان مفروش بالورد والنرجس والريحان ، مع قوم عقد الجوزاء في النظام ، وانامل اليدِ في الالتئام ، وفي القوم رجل مصري الدار ، فافاضوا في ذكر البلدان وما فيها من الآثار فاخذ يمدح مصره ، ويفضّل قصره ، ويزدري ما عداها من البلدان ، ويذم الهوا والماء والسكان ، فاشار القوم اليّ ، ووقعت القرعة عليّ ، فنظمت هذه الابيات في الحال ، على سبيل الارتجال [من الكامل] :

واحرَّ قلبي في لظًى يتعذّبُ من ناره انفاسها تَتَلَهَّبُ

ونحول جسم رقّ حتى أنه مرَّ النسيم به غدَا يتلعّبُ

ماذا يراد بعاشق دهر له اخنى عليه ولم يزل يتعتّبُ

مَن هجرِ من في خدّه لي جَنّة لكنني في جمره اتقلّبُ

لا زال يبعدني الحبيب ولم ازل بالذل مع خفضٍ له أتقرّبُ

حتى تبدّل صدُّه بوصاله ووردت وِردًا ليس منه اعذبُ

اذ قال لي يا عاشقي سِر بي الى حان الكميت[١] لعلّ ما بي يذهبُ

فأجبته إِذهب لغوطة جِلِق لنخوض في تلك الرياض ونلعبُ

واعطف لربوتها التي قد اشرقت فنسيمها لِشفَا العليل مُجرّبُ

هي جنّةُ الدنيا وليس مُنازِعٌ في ذا وليس هناك ثم مكذِّبُ

يا من يفضّل مِصرَه في زعمه سارت مشرّقة وانتَ مغرِّبُ

واما جامعها الكبير ، وسراجها المنير ، فهو جامع حسن البناء ، غزير الماء ، لطيف الهواء ، في خارجه بركة ماء ، في وسطها بناء ، يتوصّل اليه في سلّم لطيف

(١) في الاصل : المكيت .

وعليه قبة معقودة بالحجارة مُعدّ ذلك المكان للمؤذنين في غير ايام الشتاء . وبالجامع من جهة الشرق والغرب اصول حمض كبار ، تدهش الأبصار ، وبها جامع يقال ب له البرطاسيّة من بابه الى محرابه مفروش بالرخام المنوّع / الذي يدهش الابصار ، ويحير الأفكار ، وكذلك حيطانه ؛ ومن جهة الغرب شبابيك تطلّ على النهر المارّ بالمدينة وسقف معقود بالأحجار وبه من الجام الملوّن ما يشبه النجوم ، والعقد المنظوم ، فاذا طلعت الشمس ارخى ذلك الزجاج شعاعه على ذلك الرخام المنقوش فيصير لذلك مرأًى عجيب ، واسلوب غريب . وبه بركة ماء مفصصة بانواع[١] الرخام الملوّن كنت اكثر الجلوس به لهذه المحاسن . وبها جامع يقال له جامع التوبة ، وهو جامع قريب من الجامع الكبير في الشكل ، بطرفه من الجانب الشرقي بناء حسن يُسمى المحموديّة شكل ايوان مطلّ على النهر المزبور وعلى الجسر الذي يمرّ عليه من الطرف الشرقي الى الغربي ويجتمع الناس هناك وبه ماء جارٍ في ساقية مبنية يجتمع ماؤها في بركة ثم ينصبّ الى النهر ، فكنت غالبَ ايام اقامتي اذهب الى هذا المكان واجلس فيه لأختلي بالعبادة وانزّه الطرف وأفرّح القلب . وبها جامع يقال له جامع طيلون[٢] في الطرف الغربي من جهة البحر وهو جامع كبير ، ومعهد خطير ، معدّ لمصلى العيدين وللاجتماع في الأمور العظائم وغير ذلك ، وبالقرب اليه خارج المدينة رمل احمر مفروش مدّ البصر يقال انه كان بعيدًا عن المدينة والآن قد صار قريبًا ، ويقولون انه يكون سببًا لخراب هذه المدينة ، والله أعلم .

وبالجملة والتفصيل فهي بلدة عظيمة ، عمّرها الله تعالى وبلاد المسلمين آمين ، والحمد لله رب العالمين .

تمّت على يد جامعها الفقير رمضان بن موسى العطيفي الحنفي وذلك
بعد خروجي من البلد المزبورة في أواخر صفر الخير
من شهور سنة اربع واربعين وألف ، والحمد
لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) في الاصل : بانوع .

(٢) كذا في الأصل، وهو جامع طيلان.

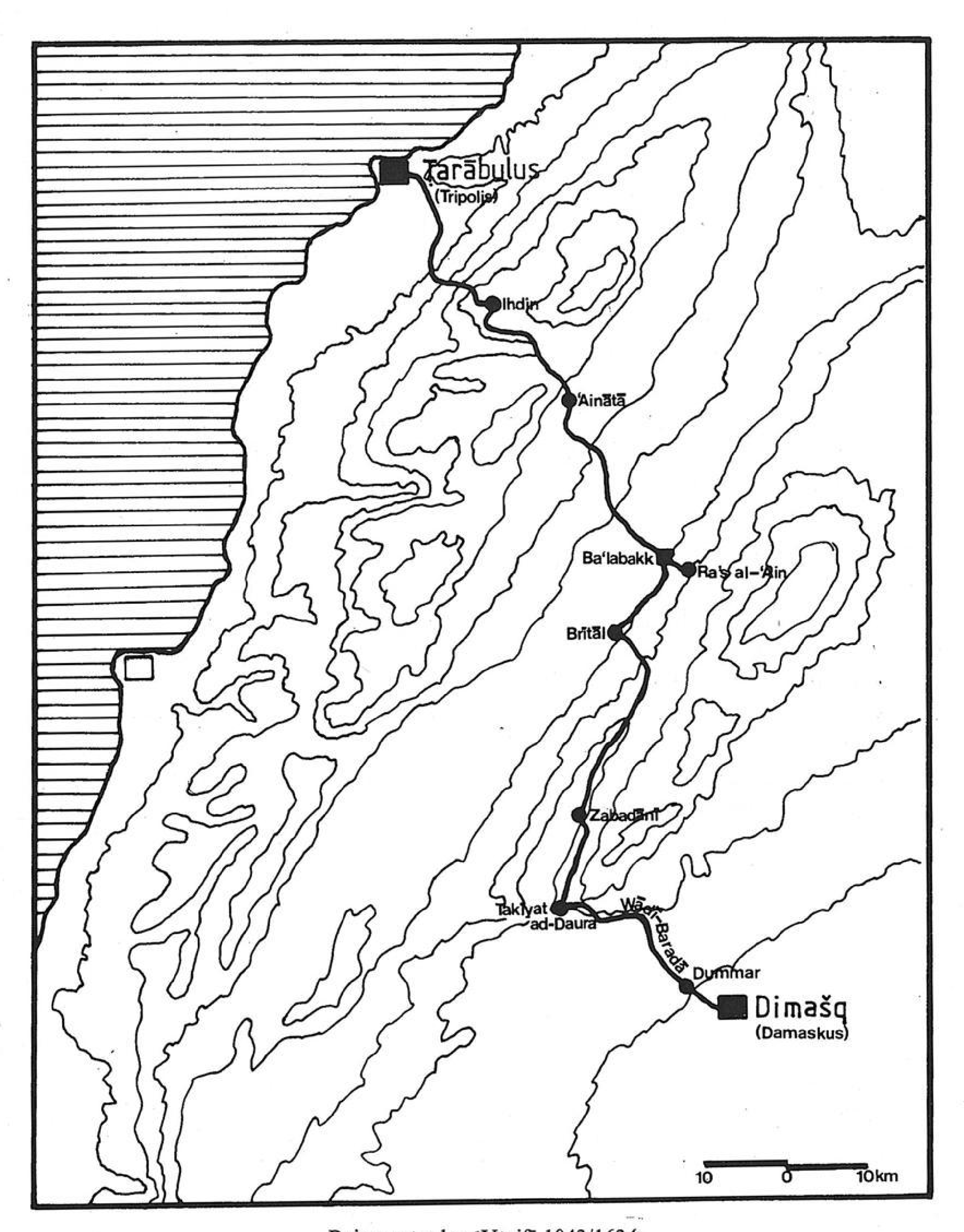

Universitäts- und Landesbibliothek
Sachsen-Anhalt

اسماء الاعلام



اسماء الامكنة





Reiseroute des ʿUṭaifī 1043/1634





(*Fortsetzung der dritten Umschlagseite*)

BEIRUTER TEXTE UND STUDIEN

HERAUSGEGEBEN VOM
ORIENT-INSTITUT
DER DEUTSCHEN MORGENLÄNDISCHEN GESELLSCHAFT

14. JOSEF VAN ESS: Anfänge muslimischer Theologie. Zwei anriqadaritische Traktate aus dem ersten Jahrhundert der Hiğra. 1977, XI, 280 S. dt. Text, 57 S. arab. Text. DM 48,—
15. GREGOR SCHOELER: Arabische Naturdichtung. Die zahrīyāt, rabīʿīyāt und rauḍīyāt von ihren Anfängen bis aṣ-Ṣanaubarī. 1974, XII, 371 S. DM 54,—
16. HEINZ GAUBE: Ein arabischer Palast in Südsyrien. Ḫirbet el-Baiḍa. 1974, XIII, 156 S., 14 Taf., 3 Klappläne, 12 Textabb. DM 24,—
17. HEINZ GAUBE: Arabische Inschriften aus Syrien. 1978, XXII, 202 S., 19 Taf. DM 45,—
18. GERNOT ROTTER: Muslimische Inseln vor Ostafrika. Eine Komoren-Chronik des 19. Jahrhunderts. 1976, XII, 106 S. dt. Text, 116 S. arab. Text. DM 28,—
19. HANS DAIBER: Das theologisch-philosophische System des Muʿammar Ibn ʿAbbād as-Sulamī (gest. 830 n. Chr.). 1975, XII, 604 S. DM 76,—
20. WERNER ENDE: Arabische Nation und islamische Geschichte. Die Umayyaden im Urteil arabischer Autoren des 20. Jahrhunderts. 1977, XIII, 309 S. DM 56,—
21. ṢALĀḤADDĪN AL-MUNAĞĞID / STEFAN WILD: Zwei Beschreibungen des Libanon. ʿAbdalġanī an-Nābulusīs Reise durch die Biqāʿ und al-ʿUṭaifīs Reise nach Tripolis. 1979, XVII, 25, 164 S. arab. Text.
22. ULRICH HAARMANN / PETER BACHMANN, Hrsg.: Die islamische Welt zwischen Mittelalter und Neuzeit. Festschrift für Hans Robert Roemer zum 65. Geburtstag. 1979, XVI, 702 S.

WEITERE VERÖFFENTLICHUNGEN DES ORIENT-INSTITUTS

HELMUT RITTER: Ṭūroyo. Die Volkssprache der syrischen Christen des Ṭūr ʿabdīn. A: Texte, Band I. 1967. *43*, 609 S. DM 68.— Band II. 1969. *23*, 697 S. DM 68.— Band III. 1971. *26*, 704 S. DM 68.— B: Wörterbuch, Band IV. 1979. Im Druck.

IN KOMMISSION BEI FRANZ STEINER VERLAG • WIESBADEN